

# قصص نبوية

بأسلوب تربويٍّ جديدٍ

المؤلفات

الأستاذة شيرين محمود  
الأستاذة آمنه عانوتي

تتضمّن

دمجاً للمناهج

سلسلة قصص الأنبياء (الجزء الثاني)

# قصص نبوية بأسلوب تربوي جديد

تقديم

دكتور يوسف مرعشلي

د. خالد الصمدي

د. صلاح الخالدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## جزء (٢)

# قصص نبوية بأسلوب تربوي جديد

تأليف  
شيرين لبيب خورشيد آمنة عانوتي

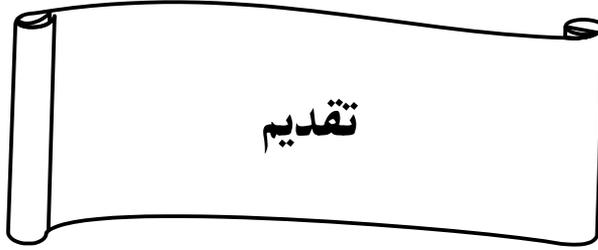
مراجعة لغوية  
هيام كامل عيتاني خشوف  
سحر عبدالقادر اللبان

مراجعة تربوية  
دكتور خالد الصمدي  
الأستاذة عبلة بساط جمعة

مراجعة شرعية  
دكتور صلاح الخالدي  
دكتور يوسف مرعشلي

تصميم الرسوم  
ندى عيتاني  
إخراج الرسوم

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م



بقلم: د. يوسف البرعشلي

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه المبين:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]. وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، حبيب رب العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، الذي جعله الله أسوة حسنة، وقُدوةً صالحةً للمؤمنين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، والأبطال المبرزين، الذين صدقوا رسول الله ﷺ، وآمنوا به، وأووه ونصروه، ونشروا دينه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ الطفلَ المسلمَ اليومَ، يتعرَّضُ لتوجيه مُنحرفٍ في بيئته ومُجتمعِهِ، فوسائلُ الإعلامِ تَبَثُّ السُّمومَ والانحرافاتِ الخُلُقية، ورُفقاءُ السوءِ مِنْ حَوْلِهِ يُؤثِّرونَ في سلوكِهِ وتصرفاتِهِ وأفكارِهِ، ومناهجُ التَّعليمِ بَعِيدَةٌ كُلُّ البعدِ عنِ تعاليمِ رَبِّنا سبحانه وتعالى، ودينِهِ الحنيفِ، وصِراطِهِ المُستقيمِ، وهو يتلقَى تربيةً خاطئةً وتوجيهاً منحرفاً.

من هنا كان لزاماً على كل مسلم غيور من أهل التربية والتعليم، أن يُولي اهتمامه لأطفال المسلمين، فيُنقذهم من سُبُلِ الغواية والضلالة، بنشر الخير والفضيلة بينهم، والمبادئ القويمة، والأخلاق المستحسنة؛ لينشأوا

على الإيمان والتقوى، فهم جيل المستقبل، وإذا أهملناهم اليوم ضاعوا غداً، وتلقفتهم أيدي شياطين الجن والإنس، وأصبحوا أعداءً لدينهم وأمتهم.

وليس أَوْقَعُ في نفس الطفل من القَصَصِ، فهو أسلوبٌ مُحَبَّبٌ إليه، يسترعي انتباهه، وقد أورد الله تعالى في القرآن الكريم قَصَصَ كثيرٍ من الأنبياء، غنيّةً بالعِبَرِ والدروس التربوية والإيمانية، بعيدة عن الوهم والخيال والخرافة، تصلح لتربية أبناء المسلمين التريبة الصالحة النافعة، على الإيمان والأخلاق القويمية، فقامت مجموعة من الأخوات المُرَبِّيَّاتِ الفاضلات بصياغتها بأسلوبٍ مُبَسَّطٍ مُحَبَّبٍ لِلنَّشِئِ الصَّغِيرِ، معتمداً في أخذ أحداثها على كتب التفسير الموثوقة، واجتناب الإسرائيليات، فجاءت حَسَنَةً بأسلوبها، موثقة بمعلوماتها، فجزاهنَّ اللهُ خيراً الجزاء، وأثابهنَّ على ما قَدَّمَنَّهُ لأطفال المسلمين من خير عميم، والله من وراء القصد.

والحمدُ لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد مُعَلِّمِ الخَيْرِ.





بقلم د. صلاح عبدالفتاح الخالدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله العليم الحكيم يعلم أهمية القصص في حياة الناس، وفي ترسيخ القيم والفضائل فيهم، وفي تقديم العلم والمعرفة إليهم، وفي تربيتهم وتوجيههم وتهذيبهم وتقويمهم، وفي عبادتهم وطاعتهم.

ولذلك أورد كثيراً من القصص الهادف في القرآن، وشغل ذلك القصص مكاناً واسعاً فيه، وكان من أهم مضامين وموضوعات الآيات الكريمة.

والقصص في القرآن قصص هادف، يراد منه تحقيق غايات سامية،

وأهداف عالية، وقدم القرآن من خلال قصصه ما يريد تقديمه من المعاني والعلوم والحقائق والمبادئ، والتوجيهات والدلالات.

وكانت القصص المذكورة في القرآن ميداناً واسعاً للدارسين والباحثين، والمفسرين والمحللين، حيث أقبل كثيرون على تلك القصص ونظروا فيها، وفسروها وحللوها، وعرضوها واستنبطوا منها..

وصدرت كتب كثيرة حول القصص القرآني، وكان أكثر تلك الكتب في هذا العصر، الذي شهد إقبالاً خاصاً من الباحثين والمؤلفين على القرآن وقصصه، وصدرت عشرات الكتب الخاصة بالقصص القرآني، وتعددت المناهج، واختلفت الأسس، وتنوعت الاجتهادات، وكثرت التحليلات.. واتسعت الساحة العلمية لكل تلك الكتب والمؤلفات. وفيها من الخير والنفع ما فيها، و«لكل وجهة هو موليها»، وأصحابها مأجورون عند الله، إن شاء الله..

وهذه السلسلة التي نقدم لها ليست العمل الأول المتعلق بالقصص القرآني، ولن تكون الأخير، فقد سبقه كتب عديدة، اجتهد فيها أصحابها، وقدموا ما فيه الخير والنفع والفائدة، وستأتي كتب أخرى في المستقبل، تبحث وتحلل، وتدرس وتوجه، وتشير وتستنبط، وسيبقى القرآن مفتوحاً أمام الناظرين والمحللين، وستبقى قصصه مادة ثرية غنية، يقبل عليها كل ذي تخصص، ويجد فيها ما يريد وهذا من مظاهر إعجاز القرآن، الذي لا يشبع منه العلماء والباحثون، على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم..

الجيد في هذه السلسلة القصصية التربوية الهادفة، التي أعدتها الأختان الفاضلتان «شيرين خورشيد» و«آمنة عانوتي» أنها سلكت أسلوب «الحوار» العلمي التربوي الهادف، وليس أسلوب السرد الروائي، أو النظر التحليلي، أو التوجيه الاستنباطي.. وقد سبق أن أشرنا إلى تعدد المناهج المفيدة في دراسة القصص القرآني «ولكل وجهى هو موليها...».

الجيد في عمل الأختين خورشيد وعانوتي هو تقديم هذه السلسلة

التربوية من خلال أسرة مسلمة ملتزمة، معلمة ومتعلمة، و مترابطة و متماسكة. إنها أسرة «أبي أحمد»، التي أرادت الأختان أن تكون نموذجاً للأسرة المسلمة، التي تجلس على مائدة القرآن، وتأخذ منها العلم والمعرفة، والتوجيه والتربية.

أبو أحمد يعمل ويوجه، وأم أحمد تعمل وتعلم وتحلل، والإخوة الثلاثة أحمد وجميل وسامي يسمعون ويتلقون، ويتابعون ويحاورون، ويناقشون ويحللون. يسأل الأبناء بأدب، ويتلقون الجواب من أحد الأبوين، ويتحاور الجميع على مائدة الطعام أو في جلسة الاستراحة، أو يقومون برحلة بعيدة أو قريبة. . . وهدف الجميع هو الوقوف مع قصص القرآن متعلمين ومحللين. .

بدأنا مع أسرة أبي أحمد في الحلقة الأولى من هذه السلسلة الطيبة، وتابعتنا الجلسات العائلية مع هذه الأسرة، وما فيها من حوارات وسؤالات، وجلسنا مع الأسرة بخيالنا وهي تتحاور، وسرنا مع أفرادها وهم يسيرون، وارتحلنا معهم وهم يرتحلون، واستفدنا معهم وهم يستفيدون، وتعلمنا معهم وهم يتعلمون.

والجيد في هذه السلسلة النافعة أنها تعاملت مع القصص القرآني بمنهجية، حيث حرصت الأختان «شيرين» و«آمنة» على البقاء مع القرآن الكريم، وهما تتحدثان عن قصصه، ولم تخرجا إلا إلى أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة، والجيد في عملهما أنهما لم تذكر شيئا من الإسرائيليات والأخبار غير الصحيحة، وهي التي لا دليل عليها من القرآن والحديث الصحيح.

وحرصت الأختان في ما سجلتاه من حوارات أفراد الأسرة على التركيز على الأبعاد العلمية والتربوية، والإيحاء لقراء هذه السلسلة بأن يكونوا كأسرة أبي أحمد، بما فيها من معلمين ومتعلمين. .

ولقد أكرمتني الأخت الفاضلة «شيرين خورشيد» مرتين: مرة عندما

عرضت عليّ هذه السلسلة قبل نشرها، فقرأتها واستفدت منها. ومرة أخرى  
عندما طلبت مني التقديم لها، فجزاها الله خيراً.  
ونسأل الله لهذا العمل القبول، وللأختين الأجر والثواب، وللقراء  
الفائدة والمعرفة.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الاثنين ١٠ محرم ١٤٢٨

الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

د / خالد الصمدي

رئيس المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية

والصلاة والسلام الأتمان الأكرمان على خير المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فإن المعرفة الإسلامية بمن الله وفضله تعرف إنتاجاً وانتشاراً غير مسبوق بفعل جهود الأمة الإسلامية في التعريف بتراثها وتاريخها بشتى الوسائل والطرق الحديثة، وكانت العناية بالقرآن الكريم والسنة المطهرة قراءة وفهماً واستلهاماً وترتيباً على رأس هذا المنتج الضخم، ذلك لأن الوحي يعتبر البوصلة الموجهة لكل تفكير إسلامي ينشد التعرف على الكون وخالقه وسنن تدبيره وتسييره واستشراق آفاقه ومعرفة مصيره، والوصول من خلال كل ذلك إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فتلك الغاية الكبرى لكل علم، والعلم الذي لا يوصل إلى الله علم أبت.

وهذه الرؤية الكونية للمعرفة الإسلامية ليست من خواص البحث الأكاديمي كما قد يعتقد البعض، ولكنها شعور وإحساس وإيمان يربى في النفوس منذ أن يثغر الأطفال فنعلمهم لا إله إلا الله، وحياتة يحيهاها الإنسان ويعيش معها في كل حركاته وسكناته في كل مراحل عمره حين يحدد نيته ومقصده وهدفه في الحياة ووجهته، وغاية على قدر كبير من

السمو ينبغي أن يشتغل بها المربون وهم ينقلون إلى الأجيال خلاصة الفكر وعصارة التجربة الإسلامية، وينمون الإحساس بقدرة الله وعظمته في نفوس الناشئة حتى تشب على الطاعة وتنفر من المعصية، وتجدد العزم على أن تمضي في نفس الدرب.

إلا أننا ونحن نتوق إلى منتج إسلامي ينقل هذه النفحات الربانية إلى الأطفال، من خلال تتبع المنتج المعرفي الإسلامي بصفة عامة، نلاحظ أن الخطاب الإسلامي الموجه للطفل يكاد يكون ضامرا، والتوجه إليه والاشتغال به والإنتاج فيه لا يعرف الاستمرار والاستقرار، وهذا المنتج الإسلامي يعاني إلى جانب الصعوبات المادية من مصاعب علمية وتربوية يمكن إجمالها في:

- عدم توفيق الكثير من المشتغلين بالثقافة الإسلامية الموجهة للطفل في تحويل المادة العلمية الإسلامية إلى مادة تربوية تنقل القيم والمبادئ والأخلاق والمثل العليا إلى الأطفال أكثر مما تنقل إليهم المعلومات.
- الإغراق في التاريخ مما يجعل الطفل يعتقد أن الثقافة الإسلامية تحف من الماضي ولا علاقة لها بالواقع ولا بالحاضر.
- غياب أساليب التشويق والإثارة التي يميل إليها الطفل عادة في مثل هذا السن، مما يجعله ينتقل إلى البدائل المتاحة أمامه وهي كثيرة ومتعددة.
- تقديم الوعيد على الوعد والتحذير على التبشير في عرض المشاهد والقصص والحوادث المتعلقة بالقصص الإسلامي مما يجعل الطفل يشعر بأن الخوف إحساس ملازم للثقافة الإسلامية.
- اشتماله على مفاهيم غير مناسبة للطفل باعتبارها مفاهيم مجردة عصي عليه استيعابها وفهمها فبالأحرى تفاعله معها حين لا تقرب إليه بنماذج وأمثلة محسوسة مساعدة على الفهم والإدراك.

كل هذه الملاحظات وغيرها تحول دون تحقيق المقاصد السامية من

الكتابات الإسلامية الموجهة للطفل، وتفسح المجال واسعا أمام الأطفال للتوجه إلى المنتج الغربي الوافد إليه باللغة الأجنبية، أو المترجم إلى العربية بحمولته الثقافية والقيمية، أو يتوجه إلى استهلاك ما يروج في السوق من أدبيات يطغى عليها طابع التجارة والإثارة، والتي لا تنظر إلى الحاجيات الحقيقية للطفل بقدر ما تنظر إلى الربح المادي العاجل. وتعمل على ترسيخ قيم حب الذات وحب السيطرة والعنف والمغامرة والمواقف غير الواقعية وحضور سلطة الخيال، مما يؤثر سلبا على نفسية وعقلية الطفل في ظرفية حرجة تشكل فيها مفاهيمه وتصورات وقناعاته عن نفسه وعن محيطه ومجتمعه.

ولا زلنا في العالم الإسلامي نتطلع إلى تراكم التجارب في المنتج التربوي الإسلامي الموجه للطفل والمناسب لقيم وحضارة مجتمعنا، يتجاوز المعوقات السالفة الذكر، وينافس ما يوجد في الساحة الإعلامية والقافية، وفي هذا السياق اطلعنا على هذه التجربة الغنية التي وصلتنا من لبنان تسعى إلى تحقق ما يصبو إليه الآباء من بديل إسلامي تربوي يقرب المعرفة الإسلامية إلى أبنائهم، وفي نفس الوقت يحترم الأسس العلمية والفنية والتربوية الضرورية في الكتابات الإسلامية الموجه للأطفال، بعنوان «قصص نبوية» من إنجاز الفاضلتين الأستاذة شرين خورشيد، والأستاذة آمنة عانوتي.

فقد عشت مع هذه التجربة محاولا أن أقمص نفسية الطفل المتلقي حتى أحس ببعض الأثر المنتظر أن يحدث لدى الطفل وهو يقرأ قصص الأنبياء، وب عقلية المشتغل بالتربية حتى أحلل أساليب وأدبيات الخطاب الذي تم اعتماده في صياغة هذا العمل وخلاصة ذلك أنني اكتشفت في ثناياه الخصائص الآتية:

- توفق الكاتبتين الفاضلتين في تحقيق معادلة التاريخ في الواقع، والنجاح في اختبار الحديث عن الماضي في سياق الحاضر من خلال التعامل مع أسرة (أبي أحمد) وهي تعيش لحظات القرن الواحد والعشرين وتتحرك في فضاء توثقه التكنولوجيا، وفي الآن

نفسه تستلهم القيم والمبادئ والأخلاق من تاريخ سيرة الأنبياء الأصفياء. وهذا الأسلوب الجديد من شأنه أن يجعل الأطفال ينظرون بإيجابية إلى المعرفة الإسلامية لما لها من انعكاسات مباشرة على التطبيق العملي، دون إغراق في التاريخ أو تقديم مثاليات يصعب مجاراتها والافتداء بها في نظر بعضهم.

● الأسلوب القصصي التفاعلي الذي كتب به هذا المنتج التربوي الجيد من شأنه أن يشد الطفل إلى متابعة القراءة، في عالم يجد فيه الطفل نفسه أمام آلاف الخيارات الإعلامية الجذابة والمغرية من فضائيات وألعاب فيديو رقمية ومواقع إلكترونية على شبكة الانترنت.

● يستحضر المنتج الأبعاد النفسية والوجدانية والعاطفية للطفل ويستثمرها في تحبيب وتقريب قصص الأنبياء بشكل مبسط ويسير.

● يحس الطفل القارئ أن أحداث القصة تساعده بسهولة على اكتشاف حلول لمشاكل فردية أو اجتماعية يعيشها في واقعه وهو ما نسميه بوظيفية القصة، وهو البعد الذي قل ما نجده في الكتابات الموجهة للأطفال.

● ينمي هذا المنتج النفس الحوارية والتواصلية داخل الأسرة على أساس القيم الإسلامية وتنتقل معه سلطة الأبوين من الزجر والأمر إلى التوجيه، ويشارك كل أفراد الأسرة في اتخاذ القرار بناء على الحكمة والمشورة والأخلاق العالية التي جاء بها الأنبياء ﷺ بما عرف عنهم من صبر وتحمل وأناة وتبصر.

● الحرص على صدق المعرفة الإسلامية المقدمة والتي تعتمد أي القرآن العظيم وما صح من سنة النبي الكريم، دون تحميلهما من المعاني ما يبعد عن القصد ويزيد عن الحد.

تلكم بعض الاستنتاجات التي تجعل هذا العمل بحمد الله متميزاً ورائداً وواعداً، نسأل الله أن يجعل في ميزان حسنات المؤلفين والناشرين، وأن تتلوه أعمال أخرى تربوية لا تقل جودة وفائدة، وبالله والتوفيق.

## تعريف بالكتاب

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد عليه افضل الصلاة وأتم التسليم وعلى بقية الأنبياء والمرسلين، وعلى كل من اهتدى بهديهم إلى يوم الدين. ومن قصص الأنبياء نقتبس خير الخلق الكريم وأفضل صفات ترضي الله تعالى رب العالمين.

يتناول الكتاب: قصص الأنبياء من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى سيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بأسلوب تربوي جديد، يجذب الأطفال إلى متابعة قصص الأنبياء وأخذ الحكم والعبر منها بطريقة غير مباشرة عبر أسرة مسلمة ملتزمة بمنهج الله تعالى ومطبقة لأحكامه في حياتها اليومية.

هذا الكتاب هو جزء من سلسلة قصصية قائمة على بناء الأطفال على عقيدة صحيحة وغرسها في نفوسهم البريئة. فالقيم والفضائل الاجتماعية قائمة على أسس عقائدية، سليمة.

القصة الخامسة: نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، القصة السادسة: نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ، والقصة السابعة: نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والقصة الثامنة: نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الجزء الأول، والقصة التاسعة: نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الجزء الثاني.

الأهداف من تأليف هذا الكتاب: جعل القارئ يستنتج ويرى أنّ الإسلام دين كامل متكامل يغطي جوانب الحياة الإنسانية كلها. فالدين منهج حياة شاملة في الدنيا والآخرة. وكانت الغاية إعادة الطفل إلى الحياة الشاملة المتكاملة بحسب دين الله ﷻ في الدنيا والآخرة، ومدى صلته بالله ﷻ ليفوز بسعادة الدارين. فمن خلال أسرة إفتراضية هي أسرة أبي أحمد يتعلم الطالب أهمية الأسرة المسلمة الملتزمة بأوامر الله والمطبقة لمنهجه في حياتها اليومية.

الغاية من تأليف هذا الكتاب: نظراً للواقع الذي نعيشه اليوم، وابتعاد النظم التربوية عن الإسلام وتوجهاته، وبعد البحث ومراجعة سيرة رسول الله ﷺ، خاصة في المرحلة الأولى من بعثته ﷺ، ودراسة الفترة التي تلتها في المدينة المنورة، نجد أنه كان لقصص الأنبياء تأثير كبير في بناء شخصية المسلمين الأوائل، امتد أثر هذه القصص على بناء المدينة الإسلامية، بناء النواة الأولى والأسس الحيوية لمجتمع جديد فتحققت نبوءته ﷺ حين قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم،...».

وبعد مراجعة السور المكية، نجد أنّ الله ﷻ قص علينا في القرآن الكريم الكثير من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وقد شكّل هذا جزءاً كبيراً من القرآن. وقد كان للقصة الأثر الكبير في عملية التغيير غير المباشر، وإن الشواهد على ذلك كثيرة، إذ أثرت في وجدان الصحابة وفي مواقفهم وفي إيمانهم. لذا ومن خلال تجربتي في تدريس مادة التربية الإسلامية، وجدت شغفاً قوياً لدى الطلاب إلى سماع القصة أولاً، قبل اللجوء إلى كتاب التربية الإسلامية بل بدا لي عدم اكتراثهم بالكتاب، وهكذا كانت بداية هذه الفكرة وهي الاتيان بكتاب تربية إسلامية على شكل قصص، غايته ترسيخ عقيدة الطفل المسلم، عبر سلم قيمي نرتقي من خلاله بتربية الطفل بحسب عمره من سن الحادية عشرة إلى الثامنة عشرة، ومقدرته على التلقي والاستقهاً وعلى الانتقال من المحسوس إلى المجرد، لغرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأطفال، والتأسي برسولنا سيدنا محمد ﷺ في حياته

اليومية، وبذلك نرسخ في أذهان وأفكار الأطفال القيم والأخلاق والعقيدة الثابتة إلى يوم القيامة، فننشئ إنساناً مؤمناً بالله، يعبد بإخلاص، ويطبق أحكامه ﷺ، مستقلاً مسؤولاً، صالحاً مصلحاً في مجتمعه.

وكان السلم القيمي كالتالي:

- ١ - توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام.
- ٢ - قوة الإيمان (والسبب أن قوة الإيمان ركيزة من الركائز المهمة للشخصية المتوازنة).
- ٣ - القدوة الحسنة: من قصص الأنبياء يترسخ في أذهان الطلاب مفهوم القدوة الحسنة وأثرها الطيب في حياة الإنسان.
  - الآباء قدوة حسنة.
  - الصحبة الصالحة والقدوة الحسنة.
- ٤ - قيمة العمل بجانب أهمية العلم ليعتاد الطفل ممارسة المبادئ والقيم الاجتماعية والأخلاقية والعلمية منذ الصغر.
- ٥ - أهمية الأسرة في نماء الحضارة الإسلامية ويتعرف منها على الزوج الصالح - الزوجة الصالحة، الحقوق والواجبات لكل منهما، وتربية الأطفال.
- ٦ - تحقيق الأخوة الإسلامية وتقوية الروابط بين المسلمين.
- ٧ - أهمية تزكية النفس وتكميلها للوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة.
- ٨ - بث الروح الاجتماعية وتنميتها لدى الفرد بدءاً من البيت.

يحتوي هذا (الجزء الثاني) على الإيمانيات والقيم التالية لكل قصة:

### نبي الله نوح عليه السلام:

سلوكيات، أخلاق وقيم	إيمانيات
١ - أهمية تربية الأولاد	١ - أهمية تثبيت الفؤاد على حب الله.
٢ - مسؤولية الأب والأم «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...».	٢ - الاهتمام بقصص الأنبياء.
٣ - الاهتمام بالمثل الأعلى (القدوة).	٣ - الفرق بين النبي والرسول.
٤ - أهمية تنظيم الأوقات.	٤ - ضرورة الإيمان بالرسول والأنبياء المذكورين في القرآن الكريم. وعددهم خمس وعشرون نبياً ورسولاً.
٥ - الاهتمام بقراءة القصة وسردها ومناقشتها مع الأولاد.	٥ - الهدف من إرسال الرسل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ [الإسراء]. ﴿رُسُلًا مُبَيِّنِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].
٦ - أهمية تلقي العلم التربوي الشرعي.	٦ - أخذ الله الميثاق من بني آدم.
٧ - اعتماد مبدأ الشورى في الأمر.	٧ - تعريف الأنبياء أولي العزم.
٨ - أهمية الصبر في الدعوة إلى الله.	٨ - استغراب نزول الوحي على رجل من القوم.
٩ - علم الأنساب.	٩ - ليت النبي من الملائكة.
١٠ - أنواع الدعوة وأساليبها.	١٠ - اتهامهم النبي نوح <small>عليه السلام</small> بالجنون.
	١١ - أجر جميع الأنبياء على الله وليس على قومهم ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩].
	١٢ - تعريف الحديث القدسي.
	١٣ - تعريف الحديث الموقوف.
	١٤ - شرح معنى التواتر.
	١٥ - السبب في غرق ابن نوح <small>عليه السلام</small> .

سيدنا هود عليه السلام :

سلوكيات، أخلاقيات وقيم	إيمانيات
١ - دور الأسرة في تكوين شخصية الأولاد.	١ - دعاء هبوب الريح: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً» صحيح مسلم: حديث رقم ٨٩٩.
٢ - أهمية الحب للطفل.	٢ - الدعوة إلى صوم يوم عاشوراء.
٣ - ضرورة ستر العورة.	٣ - تعريف الشرك بالله.
٤ - برّ الوالدين.	٤ - أهمية الشكر لله <small>عز وجل</small> .
٥ - تعريف الصبر والحلم والأناة.	٥ - بعض مداخل الشيطان المؤدية للكفر بالله.
٦ - أهمية أداء الصلاة جماعة في وقتها.	٦ - الدعوة إلى التوحيد.
٧ - أهمية الصلاة في المسجد.	٧ - الترغيب بالاستغفار.
	٨ - تعريف المعجزة بإيجاز.
	٩ - قصة سيدنا هود <small>عليه السلام</small> مع قومه عاد.
	١٠ - نتيجة الغرور والتكبر على الفرد.
	١١ - صفات الأنبياء: الصدق - الفطنة - الأمانة - الإخلاص.

نبي الله صالح عليه السلام :

سلوكيات، أخلاق وقيم	إيمانيات
١ - حديث ودعاء ولبس الجديد.	١ - الحديث عن مدائن صالح.
٢ - دعاء ركوب السيارة.	٢ - حديث أن الرسل من البشر.
٣ - حديث رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> بأنّ النعم لا تدوم.	٣ - المقارنة بين الملائكة والرسل.
٤ - الحديث عن الحسد.	٤ - معجزة النبي صالح.
٥ - جميع العلوم تخدم هذا الدين (درس الجغرافيا).	٥ - تحريم شرب الخمر.

## نبي الله إبراهيم عليه السلام جزء (١):

سلوكيات، أخلاق وقيم	إيمانيات
١ - أهمية العمل، وأهمية تعمير الأرض.	١ - سيدنا إبراهيم <small>عليه السلام</small> هو أول من أقام البيت الحرام.
٢ - الحديث عن العقيدة.	٢ - أهمية وتعلم الحوار للإقناع بالرأي.
٣ - الاهتمام بطعام الغذاء المعب.	٣ - الدين ليس بالوراثة ولا بالتقليد.
٤ - الحديث عن الإحرام للعمرة في آبار علي.	٤ - حوار منطقي لإبراهيم <small>عليه السلام</small> مع قومه.
٥ - تحية الإسلام.	٥ - أهمية الحوار في المناسبات لنشر الدين.
٦ - أهمية إكرام الضيف اقتداءً بسيدنا إبراهيم <small>عليه السلام</small> .	٦ - التعريف بعائشة <small>رضي الله عنها</small> .
	٧ - التعريف بمعنى فتى.
	٨ - الحديث عن توحيد الله <small>وَعَلَى</small> .
	٩ - تعريف المعجزة وشرحها.
	١٠ - الحديث عن الإحراق الذي لم يحصل بفضل الله.

نبي الله إبراهيم عليه السلام جزء (٢):

سلوكيات، أخلاق وقيم	إيمانيات
١ - دعاء: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق...».	١ - العمرة وأهمية النية في الميقات.
٢ - دعاء النوم.	٢ - المسجد الحرام وأهميته.
٣ - دعاء الاستيقاظ من النوم.	٣ - معنى لا إله إلا الله ربّ العرش العظيم ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].
٤ - حديث الهدايا: «تهادوا تحابوا...».	٤ - أهمية الحوار توصلاً لعبادة الله الواحد القهار.
٥ - أهمية التعاون بين الزوج والزوجة.	٥ - أجر النبي على الله ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢].
٦ - تعريف الجاسوس.	٦ - خبر سارة مع الملك.
٧ - صفات الزوجة الصالحة.	٧ - شرح معنى الإيمان.
٨ - الحديث عن كرم إبراهيم <small>عليه السلام</small> .	٨ - شرح معنى التوكل على الله.
٩ - أهمية الدعاء والصلاة.	٩ - شرح معنى الدين.
	١٠ - شرح معنى الإسلام.
	١١ - «توضيح فكرة الإسلام دين الأنبياء جميعاً» من لدن آدم <small>عليه السلام</small> إلى سيدنا محمد <small>عليه السلام</small> .
	١٢ - مخالفة اليهود والنصارى لأنبيائهم.
	١٣ - بعثة سيدنا إبراهيم <small>عليه السلام</small> للناس كافة.
	١٤ - ترك هاجر وإسماعيل <small>عليه السلام</small> في مكة.
	١٥ - حديث رؤيا الأنبياء حق.
	١٦ - معجزة إسماعيل <small>عليه السلام</small> .
	١٧ - ذكر الملائكة وتعريفهم.
	١٨ - الحديث عن أن سيدنا إبراهيم <small>عليه السلام</small> من أولي العزم ومن هم الأنبياء أولو العزم وأن سيدنا إبراهيم <small>عليه السلام</small> أشرف أولي العزم بعد سيدنا محمد <small>عليه السلام</small> .

## أسلوب الكتاب :

أ - اعتمد سرد القصص عن طريق أسرة مسلمة ملتزمة مؤلفة من والدين: أبي أحمد وأم أحمد، وأحمد وجميل وسامي، تنقل القيم والإيمانيات عن طريق الحوار والمناقشة للعودة إلى الفطرة السليمة الا وهي التلقي والاستفهام، تنتقل الأسرة بين أماكن عدة لتتعرف من خلالها على البلاد التي سكنها الأنبياء.

وحرصنا من خلال سرد القصص إلى الابتعاد عن الإسرائيليات، واستسقاء مادتنا العلمية فقط من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

ب - التركيز على الأهداف المعرفية في نقل المعلومات إلى الطلاب. تحريك وجدانهم لجعلهم يتقبلون المعلومات في قلوبهم ويتأثرون بها وجدانياً.

ت - محاولة نقل هذه المعرفة إلى السلوك اليومي الحي.

## أسباب اعتماد القصة كأسلوب تعليمي تربوي هادف:

جاء الأمر صريحاً في القرآن الكريم حول أهداف القصص القرآني ومنها:

أ - الهدف الأول: (لعلهم يتفكرون) لشحذ العقول والأفكار.

ب - الهدف الثاني: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب) لتقديم العبر والعظات.

ت - الهدف الثالث: (ما نثبت به فؤادك) تثبيت القلوب على الدعوة.

والقصص القرآني يحقق هذه الأهداف الرائعة لكل من سار على طريق رسول الله ﷺ في التربية والدعوة، وفي الإصلاح والجهاد والمواجهة.

- ث - الهدف الرابع: توثيق المعلومات التاريخية.
- ج - الهدف الخامس: تقريب المعلومات بشكل موثوق.
- ح - الهدف السادس: الوصول إلى الاستنتاجات العلمية بشكل غير مباشر وهو الأقرب إلى القبول والحفظ عند الطلاب.



## أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت

- القرآن الكريم.
- ١ - إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، بيروت، دار الأرقم الأرقم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، خمسة أجزاء.
  - ٢ - البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.
  - ٣ - الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء: إبراهيم العلي، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
  - ٤ - التفسير، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع خاص، القاهرة، ١٩٩١م، ١٦ جزء حتى الآن.
  - ٥ - التفسير الكبير «تفسير الرازي»: محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
  - ٦ - تفسير القرآن العظيم «تفسير ابن كثير»: إسماعيل بن كثير بن كثير الدمشقي، دار الحديث، القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
  - ٧ - الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»: محمد بن أحمد الأنصاري، القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان، دمشق
  - ٨ - جامع العلوم والحكم: أبو فرج عبدالرحمن (ابن رجب)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، جزءان.
- وجميع مراجع الأحاديث النبوية: بخاري - ومسلم - ابن ماجه والترمذي، والنسائي...

ونخبة من مراجع قصص الأنبياء ألفت حديثاً. وغيرهم من المصادر والمراجع.

من راجع القصة وقوّظها:

ولقد قام بمراجعة مخطوطة الكتاب وإبداء الرأي والنصح والتوجيه والمراجعة كلٌّ من :

لبنان : الدكتور يوسف مرعشلي. والأستاذة عبلة بساط جمعة

الأردن: الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

المغرب: الدكتور خالد الصمدي

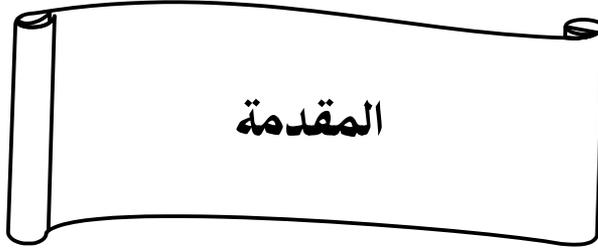
وقد أعطى كل واحد منهم تقرّيباً ومراجعة مع تصويبات، راجية منكم تقبل هذا الكتاب واعتماده ضمن المراجع التربوية في التنشئة الإسلامية الاجتماعية التربوية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام، وجزاكم الله خيراً.

د.شيرين لبيب خورشيد







## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، سيد المرسلين الذي أرسل رحمة للعالمين، وعلى آله الغر الميامين وأصحابه الكرام أجمعين.

لقد من الله علينا بأن أرسل لنا رسولا من أنفسنا، يعلمنا الكتاب والحكمة، ويذكينا، ويخرجنا من الظلمات إلى النور، مؤيدا بكلام الله العزيز، الذي تنزل عليه تورا، منجما بحسب الأحداث التي كانت تمر بالمسلمين. فها هو في خلال ثلاث عشرة سنة ينتزل عليه جبريل في مكة المكرمة بأمرين اثنين متلازمين، ألا وهما: ترسيخ التوحيد لله تعالى، وتقويم الأخلاق، حيث قال رسول الله ﷺ: «نما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وذلك بسبب ما تعرضت له هذه الفترة الزمنية، في البلاد العربية عامة - ومكة المكرمة خاصة - من عبادة الأوثان، وعبادة الشيطان، واتباع الهوى، وكثرة الفواحش التي عانى فيها رسول الله ﷺ ما عانى من كفار قريش.

وقد كان لرسول الله من القصص القرآنية، التي تنزلت عليه في تلك الفترة، خير معين، لأنها جاءت إخباراً من رب العالمين ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

أَحْسَنَ الْقَصَصِ يَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ  
الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ [يوسف: ٣].

وَأَمَرْنَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ نُذَكِّرَ النَّاسَ بِهَا، لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ  
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وقد رأينا، أن نقوم بتنفيذ أمر الله، وإبلاغ النشء الجديد بما أبلغنا  
الرسول الكريم به. ولن ندعي زوراً أننا الوحيدون المتحمسون لهذا العمل،  
فقد سبقنا إليه كثيرون. ولكن لكل منا غايته من وراء هذه القصص. أما  
غايتنا فهي:

١ - إعادة شخصية الإنسان المسلم، وتوجيهه بالقُدوة الحسنة، ليكون  
متميزاً في كل أمور حياته ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾  
[الأحزاب: ٢١] من خلال العلاقات الأسرية والاجتماعية بين شخصيات هذه  
القصص.

٢ - جميع الناس يحبون القصص ويقبلون على سماعها، فلماذا تكون  
قصصاً خرافية؟ لماذا لا تكون واقعية مفيدة دينياً وأخلاقياً؟

٣ - إعادة تنمية الفكر عقدياً وفكرياً. فقد صار الناس في أيامنا هذه  
يتخبطون في إيمانهم تخبط الأعمى، وصار الدين عندهم مجرد دعوى  
فارغة.

٤ - ومن أهم أهدافنا ترسيخ مبدأ البحث والتحرر والتفكير السليم،  
وخصوصاً في مسائل الدين والإيمان، إذ لا يجوز الخلط فيما بينها وبين  
الأساطير والخرافات، ولا يجوز مجرد اتباع ما عليه الأهل - الآباء  
والأجداد - نفعل ما يفعلون، ونقول ما يقولون، لأن هذا ما كان يقوله  
الكافرون للأنبياء ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾

[الأنعام: ١٤٨]. وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ  
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿أَنْهَلْنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾  
[هود: ٦٢].

نَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُوقِّعَنَا إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.





## عزيمي القارئ

نُقدّم إليك هذه السلسلة الطيّبة من الأقاويصِ الدنيّة التي تروي سيرة الأنبياء الكرام، الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، والمطلوب من الإيمان بهم؛ لأن معرفتهم هي فرض عين على كل مسلم، ومن ينكرهم أو ينكر أحدهم فقد كفر، لأنهم من ضمن المعلوم من الدين بالضرورة، وعدم الإيمان بهم يخل بشروطهم من شروط الإسلام الحق.

وسوف نتبع منهجية علمية في كل ما نكتب ونقرر، وهذه المنهجية مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسنسكت عما سكتا عنه، فنبتعد عن الخرافات والإسرائيليات التي تخلت مفاهيمنا الدينية، ويا للأسف! حتى وإن كان لها أصل في كتب غير المسلمين، لأننا مكلفون بالتعبّد لله بما أنزل في كتابه لسيدنا محمد ﷺ.

رجاؤنا أن يعيننا الله على ما كلفنا أنفسنا القيام به، وأن نجد منكم تجاوباً مع هذه المنهجية، فتتبعوها في جميع أحوالكم، فتتفكروا وتعملوا أذهانكم في أمور دينكم، ولا تكتفوا بما سمعونه من آبائكم ومن تتوهمون أنهم أعلم منكم، لأن الله سبحانه وتعالى مدح المتفكرين في خلق السماوات والأرض: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].



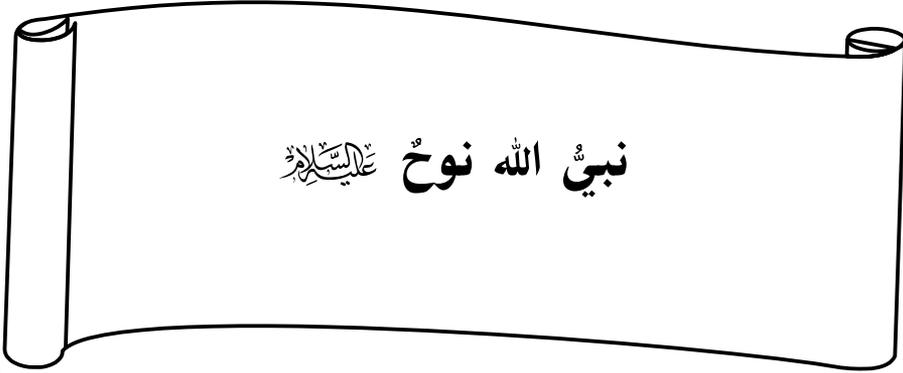
## تمهيد قرائي الأفاضل

كثيرة هي الكتب التي تزخر بأفاصيص الأنبياء مع أقوامهم ولكنها كلها تتبع طريقة السرد التقليدية. لذا رأيت أن أقدمها لكم بطريقة مختلفة تتبع أسلوب الحوار التربوي الذي يدخل في نفوس الأبناء - المقصودين الأساسيين لنا - فنعلمهم ونربيهم بطريقة مختلفة تتبع أسلوب الحوار التربوي الذي يدخل في نفوس الأبناء - المقصودين الأساسيين لنا - فنعلمهم ونربيهم بطريقة سهلة بسيطة، لذا لم نتطرق إلى الجمل الصعبة التي تحتاج إلى كثير تفكير.

ولإيصال فكرتنا بشكل سريع رأينا من الصواب أن نترافق مع أسرة أبي أحمد المؤلفة من:

- «أبي أحمد».
- «أم أحمد».
- «أحمد» البالغ من العمر اثنتي عشرة سنة.
- «جميل» البالغ من العمر ثماني سنوات.
- «سامي» البالغ من العمر ست سنوات.

والله وليُّ التوفيق



كان بيت أم أحمد يعج بالزائرات اللواتي يعلو ضجيجهن حيناً، وصوت ضحكاتهن حيناً آخر، فقد وصل إليها الدور في الاستقبال الأسبوعي الذي اتفقت عليه مع أمهات التلاميذ، رفاق أبنائها، ليتعاون جميعهن على تربية أبنائهن تربيةً جيدةً بفضل ما ينتج عن اجتماعهن وأسئلتهن من نتائج، وقد اتفقن على أن يعملن بمبدأ الشورى الذي أقر به الدين الإسلامي، ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>. خصوصاً وهن يعلمن أن أم أحمد كانت تُعلِّم الأولاد الصغار، وتلقت دورات تدريبية في مجال التربية والتعليم، ولقد لاحظت من خلال تعاملها مع الأولاد، أن خير الوسائل لإيصال المعلومات إليهم هي:

الأنشودة أولاً، والقصة ثانياً، وكذلك الألعاب التقنية ثالثاً، وبما أنها لا تحسن نظم الأنشيد، ولا تجد الأغاني المناسبة لكل ما تريد إيصاله إلى عقول أولادها من أخلاق وقيم صحيحة، لذا وجدت القصة خير طريق.

قالت إحدى الزائرات، وكأنها تُكمل حديثاً سابقاً:

أم خالد: ولكن يا أم أحمد، المكتبات مليئة بالقصص الجميلة

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

الجذابة التي تهتم بتربية الأولاد وتنمي خيالهم وتشحذ أفكارهم، فلماذا لا نشترى لأولادنا منها للمطالعة بدلاً من إضاعة الوقت في الكلام معهم؟  
أم أحمد: ولماذا لا نقضي وقتاً معهم ونكلمهم ونتفاعل معهم وهم جزء منا؟

أم حمدان: لدينا الكثير من الأعمال ننجزها في هذا الوقت.

أم أحمد: إن أهم عمل تقوم به الأم هو تربية أولادها والاهتمام بهم، وليس هناك ما هو أهم منهم. أنت ترين أن كثيراً من الأولاد فقدوا أحاسيسهم تجاه أهلهم، وخسروا أخلاقهم، وذلك لأنهم فضلوا الأعمال الخارجية على رعاية أبنائهم. أنسيت قول الشاعر:

ليس اليتيم من أنتهى أبواه من

هم الحياة وخلفاه ذليلاً

إن اليتيم هو الذي تلقى له

أما تخلت أو أباً مشغولاً

أم علي: هذا صحيح.. معك حق.

أم أحمد: ولا تنسي أيضاً حاجة الأولاد إلى مثل أعلى ومثل عليا يقتدون بها، وهذه القصص التي تتكلمين عنها على ما فيها من أشياء جيدة ومهمة إلا أنها تظل من وحي الخيال والطفل ذكي بطبعه، ولا يقبل أن يقلد الأبطال الخياليين، إنه بحاجة إلى أناس حقيقيين يتأسى بهم.

رددت الأمهات: طبعاً، طبعاً، هذا صحيح.

تابعت أم أحمد: وليس هناك أفضل من الأنبياء والصالحين نقتدي بهم نحن وأولادنا، إذا أردنا أن تكون لهم شخصيات متوازنة وقوية محبة لله ورسوله.

أم خالد: ولكن قصص الأنبياء متوافرة في المكتبات.

أم أحمد: هذا صحيح، إلا أن المكتبة ما زالت في حاجة مستمرة للتجديد، ولعل الأم هي خير من يوصل هذه القصص، وأخلاق الأنبياء إلى أولادها ألم يقل الشاعر<sup>(١)</sup>:

الأم مدرسة إذا أعدتها  
أعدت شعباً طيب الأعراق

استأنفت أم أحمد: أولادنا يقرؤون كثيراً في كتبهم المدرسية ويتعبون كثيراً، لهذا فلن يستجيبوا لنا لو طلبنا منهم مطالعة كتب أخرى، ولو كانت للتسلية. هم يحبون أن يسمعوا منا أو من آبائهم، فكلام الأهل مع أولادهم يجعل التواصل الفكري بينهم متماسكاً ويقوي الروابط العاطفية بينهم، فيربو الحب في نفوسهم، وتتلاشى الكراهية والضعينة والاضطرابات والقلق الذي يشعرون به. ألا ترين معي أننا نلنا من طفولتنا حظاً أكبر من أولادنا؟ على الرغم من أنهم يمتلكون وسائل أكثر للترفيه: التلفزيون، والفيديو وألعاب الحاسوب، و.. و.. ونحن لم تكن لدينا هذه الوسائل، ولكننا كنا أسعد منهم لأن أمهاتنا اهتمن بنا كثيراً.

هنا كثرت التعليقات، كل واحدة من الأمهات تسرد ألعابها: القفز على الحبل، القفز فوق المربعات، اللعب بالحصى (اللاقوط).. كل هذه الألعاب لم تكن تكلفنا أموالاً كثيرة أو قليلة. فما هي إلا أن نحصل على حبل قديم عديم الأهمية، أو عصاً صغيرة نخط بها خطوطاً على التراب أو بعض الحصيات المناسبة، ولكننا كنا نحس بالسعادة المطلقة بعكس أولادنا.

أم أحمد: إن السعادة لا تشتري بالمال، ولكن تنبع من التربية التي يتلقاها الإنسان في طفولته. وكما قلت سابقاً، ليس أفضل من الأنبياء والصالحين ليكونوا قدوة لأولادنا، والله سبحانه وتعالى قال في كتابه

(١) الشاعر: حافظ إبراهيم.

الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

والقرآن الكريم مليء بقصص الأنبياء والله سبحانه وتعالى رغبتنا  
بالتعرف على قصصهم والتأسي بهم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي  
الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ  
كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

وتابعت أم أحمد بحماسة: ونحن عندما نقرأ أو نروي قصص الأنبياء  
لأولادنا فإنهم يستفيدون كثيراً، ويتعرفون إلى قصة جميلة لبطل حقيقي عمل  
جاهداً للنجاح في رسالته، فتقوى شخصياتهم ويتعلمون بذل الجهود بشكل  
صحيح، ويتعرفون إلى الله الذي لا يضيع أعباءه، ولا ينساهم، ويحميهم  
من أعدائه وأعدائهم، وكذلك يثبت حب الله الواحد القدير العزيز في  
قلوبهم ولا يكون للشيطان سيطرة عليهم. وهكذا نحقق قول الله ﷻ: ﴿وَكَلَّا  
نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ  
وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)، فنكون بهذا خير دعاة إلى الله في بيوتنا. ويجب أن  
لا ننسى أننا مسؤولات عن تربية أبنائنا أمام الله ﷻ فقد قال رسول الله ﷺ:  
«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع... والمرأة راعية في  
بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راع في مال سيده وهو مسؤول، ألا  
فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (٤).

قالت أم حمدان: لهذا أنت تحكين لأبنائك قصص الأنبياء إذاً؟

أم أحمد: أجل. هذا بالرغم من حرصي على وجوب المطالعة اليومية

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٣) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٤) البخاري، ٨٩٣.

الهادفة. فالعلم لا يؤخذ فقط بالدروس المنهجية، ولكن بالمطالعة الدائمة والإطلاع المستمر على آخر المستجدات.

سألت أم علي: وكيف تجددين الوقت لتروي لهم هذه الحكايات؟ إن دروسهم كثيرةٌ كما نعرف جميعاً ويقضون الوقت الطويل في الكتابة والقراءة.

أم أحمد: عندما رويت لهم أول قصة، شعرت كم هم بحاجة للاقتداء بأبطال هذه القصص.

لقد طلبوا مني أن أخبرهم عن أنبياء الله فوعدتهم خيراً. ولكن مع مراعاة أوقات دراستهم، وحتى لا يهملوا المطالعة، فأنا سأناقشهم في مطالعاتهم أسبوعياً، فهم ينجزون واجباتهم المدرسية في اليوم نفسه ثم تنتقل إلى الحكايات. وهكذا ترين أن الوقت يتسع لهذا، خصوصاً وأني أنظم وقتي بشكل جيد، والتنظيم شيء مهم.

الزائرات معاً: نشكرك على ضيافتك.. يجب أن نعود إلى بيوتنا قبل وصول الأولاد من المدارس.

عاد الأولاد من مدرستهم مبتسمين لأنهم اتفقوا أن يلقوا التحية على أمهم معاً - في آن واحد - ففتحاً وتفرح لاتفاقهم ومحبتهم لبعضهم.

بدلوا ثيابهم المدرسية وغسلوا وجوههم وأيديهم مما علق عليها من الغبار والجراثيم وأدوا الصلاة المفروضة ثم تناولوا طعامهم. ولأنهم تلاميذ مجتهدون أسرعوا إلى وظائفهم ودروسهم التي لم ينتهوا منها إلا مع أذان العشاء، فذهبوا مع أبيهم إلى المسجد ليؤدوا الصلاة جماعةً.

ولأن غداً هو يوم العطلة الأسبوعية، فلا بأس من إطالة السهر قليلاً ليتسنى لهم مسامرة أبويهم. فأجتمعوا كالمعتاد في صالة البيت.

قالت الأم: اليوم سوف أحدثكم عن نبي الله نوح عليه السلام.

فسألها أحمد: كم عدد الأنبياء الذين ستخبرينا قصصهم؟

الأم: لقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبياً ورسولاً، وهناك أنبياء ورُسُلٌ كثيرون لم يذكرهم الله في كتابه الكريم: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾<sup>(١)</sup>. ولقد ذكر في حديث سيدنا محمد ﷺ الذي رواه الصحابي أبو ذر الغفاري، قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألفٍ وعشرون ألفاً».

قال: كم الرسل من ذلك؟

قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر، جمًّا غفيراً»<sup>(٢)</sup>.

أحمد: ماذا؟ وهل النبي غير الرسول؟

الأم: طبعاً، فالرسول هو الذي ينزل الله عليه رسالةً جديدة، كنوح، وإبراهيم، وموسى، عليهم الصلاة والسلام، والنبي هو الذي لم ينزل عليه رسالةً جديدة، وأمره باتباع رسالة رسول قبله: كإسحاق وهارون ﷺ.

أحمد: ولكنك قلت إن المذكورين في القرآن خمسة وعشرون فقط.

الأم: هذا صحيح، وهؤلاء هم الأنبياء والرسل الذين كلفنا الله الإيمان بهم، فإذا أنكرناهم أو أنكرنا بعضهم يحكم علينا بعدم الإيمان، أي الكفر. قال تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٦﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٢) أحمد: ٢٦٦/٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠، ١٥١.

جميلٌ: ولماذا أرسل الله هذا العدد الكبير من الرسل؟ ألم يكن يكفي القليل منهم؟

الأم: لا، فالناس سريعو النسيان، والله سبحانه وتعالى لا يريد أن يترك لهم الحجة للكفر، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١).

فقال جميل: لو افترضنا أن هناك إنساناً وجد وحيداً في الصحراء مثلاً ولم يصل إليه من يخبره بوجود الله، فكيف يؤمن؟

الأم: هذا الإنسان سوف يؤمن بشكل طبيعي، بالفطرة. أحمد: وما معنى الفطرة.

الأم: هي الطبيعة السليمة التي لم تتشوه بالكفر، ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (٢). وكذلك رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» (٣).

وقال أيضاً في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم» (٤) عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» (٥)، وهكذا ترون يا أحبائي أن الإنسان بفطرته يؤمن بوجود الله ووحدانيته - فالله سبحانه وتعالى أخذ علينا ميثاقاً - أي عهداً - بعبادته والاعتراف بأنه هو الله الواحد الخالق منذ خلق آدم ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ (٦).

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٣) صحيح البخاري: حديث رقم: ٤٧٧٥.

(٤) اجتالتهم: أذهبتهم، أبعدتهم.

(٥) الإمام مسلم: حديث رقم: ٢٨٦٥.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

روى الإمام أحمد أثراً عن أبي بن كعب، في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾، قال: (جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم، فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قال: فإني أُشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، أعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربَّ غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا: شهدنا بك ربنا إلهنا، لا رب لنا غيرك، فأقروا بذلك<sup>(١)</sup>).

جميل: إذا لا عذر للمعتذرين بعدم المعرفة بوجود الله وعدم الإيمان بوحدانيته.

أحمد: وهل يعني هذا الإسلام؟

الأم: (إن أول دين<sup>(٢)</sup> على وجه الأرض هو الإسلام، وإن الإنسان الأول كان مؤمناً بالله وحده لا شريك له هو رب العالمين، وكل ما سواه مخلوقون عبيد خاضعون له. أي إن الله وحده هو الربُّ الإله: لا إله إلا الله. وكل ما سواه له عبد، خاضع مستسلم له، يتلقى الأوامر والواجبات والأحكام منه، وعليه واجب الالتزام والتنفيذ ليحقق عبوديته لله رب العالمين، فهذا هو الدين الصحيح، دين آدم ﷺ وأولاده وأحفاده، فرسالة سيدنا نوح ﷺ هي رسالة كل نبي، في الدعوة إلى الإيمان بالله

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الأنصار، باب: عن أبي بن كعب، حديث رقم: (٢٠٢٨٣).

(٢) الدين: هو نظام الحياة الكامل، الشامل لنواحيها الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية، وهو النظام الصحيح المرضي عند الله تعالى، المبني على طاعة الله وعبوديته.

وتوحيده، وإفراده بالعبادة والخضوع والطاعة، وفي تعريفهم على صفات الله وأفعاله وأسمائه الحسنى، وفي الإيمان بالبعث والحساب، والجنة والنار، وفي تعريفهم على ما خلق الله من حولهم من الملائكة والجن، والسموات والأرض، والشمس والقمر<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرَأٌ إِلَّا لِعَبْدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٣)</sup>.

سامي: وما أسماء الأنبياء يا أمي؟

راحت الأم تذكر أسماء الأنبياء<sup>(٤)</sup> التي وردت في القرآن.

جميل: لقد أخبرتنا قصة أبينا آدم ﷺ ونحن نريد أن نعرف شيئاً عن جميع الرسل المذكورين.

الأم: لعينيك - أبشر، شرط أن تعدوني بالمحافظة على نجاحكم وتفوقكم في دراستكم.

الأولاد: نعدك يا أمي.

الأم: ستتكلم الآن على نبي الله نوح - عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد أفضل الصلاة والتسليم.

الأولاد: صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قصتنا اليوم مثال جيد للصبر في سبيل الله، وهو صبر الأنبياء والرسل

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، ط١، بيروت، الدار الشامية ودمشق، دار القلم: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨. ج١، ص ١٦٥ - ١٦٦ بتصرف.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة البينة، الآية: ٥.

(٤) سنورد أسماءهم في الحاشية.

والمصلحين وعلماء الدين المخلصين، وقد مدح الله سبحانه وتعالى الصابرين بقوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١).

وأكملت الأم: قلت لكم إن نبي الله نوحاً هو مثال جيد - بل لعله - خير مثال على الصبر في سبيل الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى وذلك؛ لأنه ظل يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة. ظهرت علامات الدهشة على وجوه الأولاد، فهل يعيش الناس إلى هذا العمر؟! ولكنهم لم يتكلموا. فتابعت الأم:

- إن هذا الكلام ليس خيلاً، ولكنه موجود في القرآن الكريم، أي إنه من كلام الله ﷻ فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا﴾ (٢).

سأل أحمد: لقد قلت يا أمه إن الله يرسل الأنبياء والرسل ليذكروا الناس بما نسوا، والناس سريعو النسيان، فهل نسي قوم نوح عبادة الله؟

الأم: يجب أن تعلم يا بني أن الله يحب عباده ويرحمهم، وأنه ليس ظلاماً للعبيد، وأنه كره الظلم لنفسه وحرّمه على عباده، لهذا لا يمكن أن يعذب إنساناً أو قوماً إن لم يُنذَرهم أولاً بالرسل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٣). وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٤). نعم لقد نسي الناس، مع مرور الزمان وتوالي الأجيال، عبادة الله الواحد الأحد، والتفتوا إلى عبادة الأصنام وصاروا يتقربون إليها.

ولكن حتى لا تحتاروا في الأمر سأروي لكم القصة من بدايتها:

مات أبونا آدم ﷺ وبقي الناس بعده مؤمنين بالله موحدين له.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١١.

ومرّت أجيال محافظة على الإيمان. وبرز من تلك الأجيال عليه السلام رجال صالحون هم: وُدٌّ، ويغوثٌ، ويعوقٌ، وسواعٌ، ونسرٌ، ذكروا الناس بالدين وقوموا أخطاءهم، فأحبهم الناس حباً عظيماً، ولما ماتوا حزن الناس عليهم حزناً شديداً، مما أفرح إبليس، فقد رآها فرصة سانحة لبث شره بين الناس، فوسوس لهم أن يصنعوا لهم تماثيل تخليداً لذكراهم. فصنع الناس التماثيل ووضعوها في مواضع مجالسهم، ثم صنعوا مثلها ووضعوها في بيوتهم بهدف أن يتذكروا الرجال الصالحين، ولكن عندما مات هؤلاء القوم نسي أبنائهم الغاية التي من أجلها وضعت الأصنام، فتقربوا إليها، وسألوها العون والمساعدة ثم عبدوها، وهذا هو الكفر الصريح.

وقد روى الصحابيُّ ابنُ عباسٍ حديثاً يذكر هذه الحادثة فقال: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أمّا وُدٌّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأمّا سواعٌ: كانت لهذيل، وأمّا يغوثٌ: فكانت لِمُرَادٍ، ثمّ لبني غطفان بالجوف عند سبأ، وأمّا يعوقٌ: فكانت لهمدان؛ وأمّا نسرٌ: فكانت لِحَمِيرٍ، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبَد، حتّى إذا هلك أولئك، وتَسَخَّ العلمُ عبَدت) <sup>(١)</sup>.

تابعت الأم كلامها: في هذا الوقت، أرسل الله سبحانه وتعالى نبيّه

(١) صحيح البخاري: حديث رقم: ٤٩٢٠، كتاب التفسير، باب: ﴿وَلَا تَذَرْنَهَا وُدًّا وَلَا سِوَاكَ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ سورة نوح: ٢٣، عن عباس رضي الله عنه: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أمّا وُدٌّ) كانت (قبيلة كلب) بدومة الجندل، وأمّا سواعٌ: كانت (قبيلة هذيل)، وأمّا يغوث: فكانت (قبيلة مراد)، ثم لبني غطفان بالجوف عند سبأ. وأمّا يعوق: فكانت (قبيلة همدان)؛ وأمّا نسر: فكانت (بني حمير)، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبَد، حتّى إذا هلك أولئك وتَسَخَّ العلمُ عبَدت).

نوحاً، وقد كان أول رسول إلى الأرض، أرسله الله تعالى إلى قومه خاصة وطلب منهم عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (١).

قال سامي: ولكن يا أمي قلت إنه ظل يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة. وهذه مدة طويلة جداً.

الأم: كان الناس في زمن نوح عليه السلام يعيشون سنين طويلة، تقدر بالمئات؛ لأن أعدادهم كانت قليلة فعوضهم الله عنها بالأعمار الطويلة.

ومن ناحية أخرى، أما قلت لكم إنه خير مثال للصبر على الدعوة؟ ولهذا كان من الأنبياء أولي العزم، أي أصحاب الهمة القوية، وقد ذكره الله في القرآن الكريم ثلاثاً وأربعين مرة وفي سبع وعشرين سورة، كما خصه الله بسورة كاملة سماها باسمه وتكلم فيها عنه. والله سبحانه يتبلي كل إنسان بحسب ما يعلم من قوته وصلابة إرادته، ويتبلي أحبابه بأشد الابتلاء، فهو يعلم مقدار قوة إيمانهم، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٢)، وتابعت كلامها: لقد ظل نوح عليه السلام يدعو قومه دون كلل ولا ملل، وسلك معهم مختلف الأساليب والوسائل في الدعوة، فمن أسلوب الترغيب إلى أسلوب التحبيب، إلى أسلوب الترهيب إلى أسلوب البرهان، ومن الدعوة السرية إلى الدعوة العلنية، ومن الدعوة في الليل إلى الدعوة في النهار، وفي كل الأوقات والمناسبات بهدف إقناعهم والتأثير فيهم ليتخلوا عن الباطل ويتبعوا الحق.

ولكنهم لم يسمعوا له ولم يؤمنوا بما يقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَغْسَبُوا أَصْبَانَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾﴾ (٣). ثم غير

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة نوح، الآيات: ٥ - ٧.

أسلوبه في الدعوة وراح يُمنّيهم الأمانى ويقول لهم إن الله سيغفر لهم ذنوبهم ويعطيهم ما يطلبون إذا استغفروا وعادوا عن كفرهم وعتادهم: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ (١).

ولكنهم استكبروا ورفضوا وقالوا: كيف نطيعك وأنت رجل مثلنا؟ وما نرى لك علينا من فضل، فقال لهم: ﴿أَوْعَجَبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِثْلِكُمْ؟﴾ (٢)، فتمادوا في غيهم وقالوا: ﴿مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَنْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَزَّلْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبًا﴾ (٣).

أحمد: وهل كان اعتراضهم على نبوته؛ لأنه إنسان؟ وماذا كانوا يريدون؟

الأم: كانوا يريدون أن يكون الرسول من الملائكة، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ (٤) ثم اتهموه بالجنون: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبِّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٥). ثم غيروا سياستهم فاشترطوا عليه طرد الفقراء الذين يؤمنون به إذا أرادهم أن يؤمنوا به. ولكنه رفض شرطهم وقال لهم، ﴿وَيَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا بِهِمْ وَلَكِنِّي أَرِئُكُمْ قَوْمًا تَجَاهِلُونَ﴾ (٦).

(١) سورة نوح، الآيات: ٨ - ١٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٢٧.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٢٥.

(٦) سورة هود، الآية: ٢٩.

أيضاً لم ييأس نوحٌ ﷺ من إيمان قومه فراح يستحث عقولهم المقفلة بالدليل المادي الذي يرونه بعيونهم حتى لا تبقى لهم حجة، فذكرهم بكيفية خلقهم ونموهم، أي كيف يكونون حين الولادة صغاراً ضعافاً، ثم يكبرون ويكبرون، ثم يشيخون ويهرمون، ثم يموتون، وقبل ذلك كيف يكونون أجنة في بطون أمهاتهم، وحدثهم عن الشمس والقمر والسموات السبع والأرض كيف تكون جرداء ثم تعمر فينبت العشب والشجر الذي تسقيه مياه الأمطار والأنهار، ولكنهم أصروا على الاستكبار والكفر؛ لأنهم يظنون أن ذلك كله إنما يكون بقوة سواعدهم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ (١).

لقد صمموا على عنادهم وقالوا لبعضهم: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ (٢)، والتفتوا إلى نوح، ﴿قَالُوا يَنْبُؤُا قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنْبِتْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (٣). فغضب نوحٌ غضباً شديداً فدعا على قومه.

هو لم يغضب لنفسه ولا لجهده الكبير، ولكنه غضب لله؛ لأن الناس يرفضون الإيمان به ويؤمنون بالأصنام ويتمسكون بها.

تابعت الأم: غضب نوحٌ من قومه؛ لأنهم لا يصدقونه ولا يريدون عبادة الله الواحد، هو يحب قومه جداً ويريد لهم الخير والسعادة، والسعادة لا يمكن أن يحققها الإنسان إلا إذا آمن بالله بشكل جازم وقاطع،

(١) سورة نوح، الآيات: ١٣ - ٢٠.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٢.

وحاول أن يوصل هذه الحقيقة إليهم، وأن الدنيا فانية، والسعادة فيها تبقى ناقصة وقليلة إذا لم يتمموا بعبادة الله فيريحوا السعادة الأبدية في الجنة، إلا أنهم لم يهتموا بل اتهموه بالضلال، ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

سامي: ومن هم الملاء؟

الأم: هم سادة قومه وأعيانهم وأشرفهم، كانوا يجتمعون على كفرهم، ويلتقون في جلساتهم على التآمر على نوح ﷺ والمكر به ويتفقون على أساليب حربه ومواجهته، ويضعون خطة إعلامية، ينفذونها في أتباعهم وجنودهم وأعوانهم، وسمي هؤلاء ملاء؛ لأنهم كانوا يملؤون عيون جماهيرهم وأتباعهم مهابة وخوفاً، ويملؤون نفوس جنودهم رهبةً وإجلالاً.

سامي: ولماذا قالوا له هذا الكلام؟

الأم: لأنهم خافوا على سلطانهم ومكانتهم.

سامي: فماذا قال لهم نوح ﷺ؟

الأم: أجابهم، ﴿قَالَ يَفْقَهُو لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١) ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٢)، ولكنهم أغلظوا عليه القول في إعلانهم عن كفرهم بما يدعوهم إليه وعدم تصديقهم له وقالوا له إنه بشر مثلهم والذين اتبعوه هم الأراذل، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرُّكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرُّو لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (١٧).

وطالبوه بطرد الفقراء، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّ إِن

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٦١، ٦٢.

(٣) سورة هود، الآية: ٢٧.

أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْفُوا رَبِّهِمْ وَلِكَفَىٰ أَرْنَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾<sup>(١)</sup>، فقالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْبُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>. أصر قوم نوح على كفرهم وعنادهم، ورفضوا دعوته وهددوه إذا لم يتوقف عن الدعوة، بالرجم بالحجارة. هذا هو المنطق الذي يجيده المملأ الكفار من قومه - والذي يجيده كل مملأ كافرين في كل زمان ومكان - هذه هي اللغة التي يُحسنونها، وهذا هو الأسلوب الذي يُثقنونه، والسلاح الذي يلجأون إليه.

حزن نوحٌ ﷺ وخصوصاً عندما علم أنه لن يتبعه أحدٌ من قومه غير الذين اتبعوه، ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ ءَامَنَ فَلَا يَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾<sup>(٣)</sup>. فقال نوح: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢١﴾﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾<sup>(٤)</sup>، ولم ينس أن يدعو لنفسه ويستغفر لوالديه وللمؤمنين الذين اتبعوه: ﴿رَبِّ اعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾<sup>(٥)</sup>.

جميل: وهل استجاب الله دعاءه؟

الأم: طبعاً. لقد وعد الله عباده الصالحين بالاستجابة، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٦﴾﴾<sup>(٦)</sup>.

جميل: وكيف انتصر الله لنيبه وانتقم من الكافرين؟

الأم: لقد أغرق الكافرين، بل لقد أغرق الأرض كلها، فكل الناس

(١) سورة هود، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١١٦.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٦.

(٤) سورة نوح، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٥) سورة نوح، الآية: ٢٨.

(٦) سورة غافر، الآية: ٦٠.

كانوا كافرين ما عدا نوحاً وأصحابه وأهله المؤمنين، ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحَ فَلَنِعَمَ  
 الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَجَعَلْنَا لَهُ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾  
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾  
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾﴾<sup>(١)</sup>.

سامي: كيف حدث ذلك؟

الأم: ألم أقل لكم إن نوحاً دعا ربه أن يخلصه من قومه الذين  
 يتمسكون بكفرهم وأصنامهم ولا يريدون الإنصات للحق واتباعه؟  
 سامي: بلى.

الأم: ألم أقل لكم إن الله يحب عباده المخلصين ويدافع عنهم؟  
 جميلٌ وسامي: بلى.

الأم: هو أيضاً ﷺ لا يسمح لأحد أن يغلبهم أو يذلهم فقد قال  
 رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه ﷻ: «من عاد لي  
 ولياً فقد آذنته بالحرب»<sup>(٢)</sup>.

جميل: ماذا تقصد بالحدِيث القدسي؟

الأم: هو الحديث الذي أسنده الرسول ﷺ إلى ربه ﷻ.

جميل: هذا يعني أن الله أعلن الهلاك على قوم نوح؟

الأم: أجل. فقد عرفتم أن الله سبحانه وتعالى أخبر سيدنا نوحاً أنه  
 لن يؤمن من قومه غير الذين آمنوا، ووعد بالانصر عليهم. ولكنه لم يترك  
 الدعوة والإنذار.

سامي: أي إنذار؟

(١) سورة الصافات، الآيات: ٧٥ - ٨٢.

(٢) صحيح البخاري: الرقاق ٢٨.

الأم: إنذار قومه بغضب الله وانتقامه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩) (١). ولكنهم اتهموه بالجنون فقالوا: ﴿مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾ (٦١) (٢). ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (١٠) (٣). فقال له ربه: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ ءَامَنَ فَلَا نَبِّئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٦٦) وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (٢٧) (٤).

سامي: وما الفلك؟

الأم: إنها السفينة العظيمة. راح سيدنا نوح ﷺ يصنع الفلك كما علمه ربه فصار قومه يَمرون عليه ويستغربون انصرافه لصنع السفينة، وتركه للنبوة ليصبح نجاراً صانعاً للسفن، فما كان من نوح ﷺ إلا أن أخبرهم أن الله سيغرقهم وسينجيه هو وأتباعه فسخروا منه وتهكموا عليه، ﴿وَكَأَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ (٥)، وكان نوحٌ ﷺ يجيبهم: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَأَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣٩) (٦)، وكان لا يفتر عن ذكر الله وعبادته والدعوة إليه. كان صابراً منتظراً وعد الله، فقد أخبره الله أن الطوفان سيكون عندما يفور التنور.

جميل: التنور؟ هل هو هذا الذي يصنع فيه الخبز كالفرن؟

الأم: أجل، بالضبط هذه كانت علامة حلول وقت الطوفان، عندما تنبع المياه من التنور، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة القمر، الآية: ٩.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٠.

(٤) سورة هود، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٥) سورة هود، الآية: ٣٨.

(٦) سورة هود، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

ظَلَمُوا إِنْتَهُمْ مُّغْرَفُونَ ﴿٢٧﴾<sup>(١)</sup>، إذاً، كان على نوح أن ينتظر الإشارة حتى يجمع أهله والمؤمنين والحيوانات أيضاً، كان عليه أن يحمل من كل نوع من الحيوانات زوجين اثنين.

سامي: ولماذا الحيوانات؟

الأم: ألم يخلق الله الحيوانات لخدمة الإنسان وطعامه؟ فإذا غرقت فمن ذا يعاونه في أعماله؟ ومن أين يأتي بالحليب واللحم والصوف الذي تؤمنه له؟

جميل: هذا صحيح، سبحان الله!

الأم: وهذا ما كان. فلما فار التنور نادى نوح أتباعه فأسرعوا إلى السفينة ومعهم حيواناتهم، ووقف الكافرون ينظرون إليهم ويسخرون منهم، كيف ستستطيع السفينة تخليصهم من الطوفان وهي راسية على البر وليس هناك من ماء يحملها؟

بعد أن دخل الجميع السفينة بدأت السماء تمطر واستبشر الكافرون بالخير، فهم لم يتخيلوا كيف سيكون الطوفان، وظنوا أن هذا المطر غيث لهم، واستبشر المؤمنون أيضاً بقرب الخلاص من الكافرين ولكن الفرح بقرب الخلاص لم يُنسِ نوحاً وجوب الشكر لله فقال: ﴿رَكُّبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

بعدها أدخل نوح المؤمنين السفينة نظر إلى الخارج، فرأى ابنه الكافر مع الكافرين، وكانت السفينة قد بدأت تتحرك بهم، ذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطراً لم تعهده الأرض من قبل، فكان ينهمر وكأنه يتدفق من أفواه القرب، وتفجرت الأرض عيوناً غزيرة. فنادى نوح ابنه الكافر

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

ليدخل السفينة فرفض؛ لأن الكفر أعمى قلبه، ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾<sup>(١)</sup>، قال: ﴿سَأَوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>. لقد ظن أن الجبل يستطيع أن يحميه من الغرق معتقداً عدم قدرة الماء على الوصول إلى قمة الجبل. ولم يلحظ أن الماء يُغرق الأرض بسرعة، فأخذه الموج معه فكان من المغرقين. وسأل نوح ربه عن ابنه فأخبره أنه هالك لأنه كافر. قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

هلك الكافرون غرقاً، وغرق كل ما كان على الأرض، ولم يبق حياً إلا أهل السفينة الذين أنجاهم الله بفضله ومنه وكرمه، ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْهِ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَالسَّوَاتُ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

بعد ذلك أمر الله تعالى نوحاً أن يهبط هو وأتباعه المؤمنون من السفينة، وأن يستأنفوا الحياة على وجه الأرض ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾<sup>(٥)</sup>.

وهكذا نزل نوح وأتباعه المؤمنون من السفينة وانتشروا في الأرض

(١) سورة هود، الآية: ٤٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٣.

(٣) سورة هود، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٥) سورة هود، الآية: ٤٨.

يشكرون الله ويحمدونه، ويبدؤون إعمار ما تهدم ولكن على أساس من التقوى والإيمان.

ظل الشيطان زمناً طويلاً لا يجد له مكاناً في نفوس الناس؛ لأن إيمانهم بالله تعالى كان قوياً.

فرح الأولاد فرحاً عارماً لهذه النتيجة. فحمدوا الله وشكروه على أن خلّص نبيه والمؤمنين من الكافرين، بل خلّص الأرض جميعها منهم.



## تذييل:

### ١ - الأنبياء الذين وردت أسماءهم في القرآن الكريم:

آدم - نوح - هود - صالح - إبراهيم - لوط - إسماعيل - إسحق - يعقوب - يوسف - شعيب - أيوب - ذو الكفل - موسى - هارون - داود - سليمان - إلياس - اليسع - إدريس - يونس - زكريا - يحيى - عيسى - محمد - عليهم جميعاً أفضل الصلوات والتسليم.

### ٢ - السور التي ذكرت نبي الله نوحاً:

آل عمران - النساء - الأنعام - الأعراف - التوبة - يونس - هود - إبراهيم - الإسراء - مريم - الأنبياء - الحج - المؤمنون - الفرقان - الشعراء - العنكبوت - الصافات - ص - غافر - الشورى - ق - الذاريات - النجم - القمر - الحديد - التحريم - نوح.

### ٣ - ما الفرق في المعنى بين الهرم والشيخ والكهل؟

الهرم = من بلغ أقصى الكبر.

الشيخ = من بلغ الحادية والخمسين إلى آخر العمر.

الكهل = من خطه الشيب، من جاوز الثلاثين إلى الحادية والخمسين.

### آيات مؤيدة لما ورد في القصة:

﴿قَالُوا يَبْنُوخَ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود: ٣٢ - ٣٥].

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

### \* كثرة عدد الرسل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

### \* الصبر:

﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

### \* رحمة الله بعباده:

﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

### \* الترغيب بالدعاء:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

## معلومات إضافية:

- العوامُ من الناس يعتقدون أنّ الخيانة هنا تعني ارتكاب الفاحشة، معاذَ الله، فالله لا يسمح بإيذاء أنبيائه بهذا الشكل، والتفسيرُ المأثورُ لهذه الخيانة هو أنّها كانت خيانةً في الدعوة.
- امرأة نوح كانت تسخرُ منه مع الساخرين من قومِه؛ وامرأة لوطٍ كانت تدلُّ القومَ على ضيوفِه وهي تعلمُ شأنهم مع ضيوفِه!
- وبالرغم من أنّهما كانتا زوجين لنبيين إلا أنّهما لم تعفيا من العذاب، فلا كرامة ولا شفاعاة في أمر الكفر والإيمان، وأمر الخيانة في العقيدة، حتى لزوجات الأنبياء.

## أحاديث مؤيدة:

- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ. فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟».
- فيقول: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 143].

والوسط العدل (البخاري: 3339 - 4487 - 3349).



## نبيُّ الله هود عليه السلام

الأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظلّه تتلقى الفراخ الناشئة مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة، وتفسر الحياة، وتتعامل مع الحياة، والطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، تمتد طفولته أكثر من أي طفل آخر.

ذلك أن مرحلة الطفولة هي فترة إعداد وتهيؤ وتدريب للدور المطلوب من كل حي باق على حياته. ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة، ودوره في الأرض هو أضخم دور، أمتدت طفولته فترة أطول ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل<sup>(١)</sup>.

هذه المقالة كانت تقرأها أم أحمد لزوجها، إثر محادثة جرت بينهما عن أهمية وجود الأسرة الطبيعية في حياة الأطفال، لتكوين شخصياتهم، من كتاب قرأته اليوم بعد خروج أولادها إلى المدرسة وانتهاؤها من أعمالها المنزلية، بناءً على اتفاقها مع صديقاتها الأمهات اللاتي ذكرن زيارتهن لها، في قصة نبي الله نوح عليه السلام.

(١) العك، خالد عبدالرحمن، بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٣١.

قال أبو أحمد: هذا صحيحٌ، فالولد الذي لا ينعم بحنان أمه وعطف أبيه ورعايتهما بشكل مباشر، يكبر وفي نفسه شعور بالاضطهاد والحرمان، مهما حاول المهتمون بتربيته من مدارس خاصة لرعاية الأطفال رياض الأطفال - ومن حاضنات (مربيات أطفال) - مهما حاولوا منحه الحب والرعاية، فهؤلاء غايتهم الأولى الأموال التي سيتقاضونها في نهاية الشهر، ولن يُؤمّنوا له الإحساس بالأمان الجسدي ولا الاجتماعي ولا النفسي؛ لأن من يستطيع تأمين ذلك هو الأسرة الحقيقية، ولا سيما الأم.

الأم: هذا صحيح، ولهذا فقد تركت عملي خارج البيت واستغنيت عن المال الذي أتقاضاه، وكان من شأنه تحسين أوضاعنا الاقتصادية، وتفرّغت لتربية أولادي، فأنا لا أتصور أن أنجح في تربية أبناء الآخرين، بينما أولادي لا يجدون أما ترعاهم.

الأب: وتصديقاً لكلامك فإن انصراف الأم عن تربية أولادها ورعايتهم يزيد من عدد الأولاد المشاغبين والوقحين بل والشيرين. في هذا الوقت وصل الأولاد من المدرسة بعد تأخر عن الموعد الأصلي ساعة كاملةً.

الأب: ما هذا التأخر.

أحمد: لقد قررت إدارة المدرسة إجراء حصّة إضافية مجانية لتقوية التلاميذ يومياً، فكثير منهم يحتاجون إليها.

الأب: ولماذا لم تخبرونا بذلك مسبقاً؟

الأم: بلى، قد أخبروني بذلك الأسبوع الماضي.

بسرعة دخل الأولاد إلى غرفتهم، فخلعوا ثيابهم وعلقوها كل على مشجبه الخاص، ودخلوا إلى الحمام فرادى ليغتسلوا من أثر الطباشير والحبر، أو ممّا علق بهم من أوساخ، ثم ارتدوا ثياب البيت المريحة،

وعادوا إلى غرفة الطعام ليتناولوا طعام الغداء. وبينما هم يأكلون هتف أحمد فجأة:

من منكم يعلم أنواع الأسرة؟

الأم: وهل أنت تعلم؟

أحمد: نعم. هذا كان درسنا اليوم في مادة التربية الوطنية.

الأب: حسناً إذاً. أخبرنا أنت وعلمنا فهذا لم يكن في المناهج التي تعلمناها.

أحمد: الأمر ليس معقداً لهذه الدرجة، وتعرفون الجواب حتى ولو لم تدرسوه في مناهجكم، فأنتم كبار وتقرأون كل شيء، وتحضرون ندوات تربوية أو تشاهدون أخرى تلفزيونية كانت أو إذاعية، فتتعلمون ما فاتكم.

ابتسمت الأم وقالت: حسناً، ولكن نحب أن نسمع منك ونعرف رأيك.

أحمد: الأسرة ثلاثة أنواع: فهناك الأسرة المستبدة، والمحاورة، واللاهية.

جميل: وما معنى هذا الكلام؟

أحمد: الأسرة المستبدة هي التي يتحكّم فيها الكبار، ويفرضون آراءهم على الصغار، لاعتقادهم أنهم يفهمون أكثر، أو لأنهم يعتقدون أن أولادهم لا يعرفون كيف يتصرفون بشكل صحيح.

والأسرة اللاهية هي التي لا يهتمّ فيها الأبوان أو أحدهما بما يجري للأولاد أو لباقي أفراد الأسرة، كل واحدٍ منهما يهتم بنفسه فقط.

أما الأسرة المحاورّة فهي التي تحترم عقول أعضائها كباراً وصغاراً، وتترك لهم الحرية في التصرف، بينما هي تأخذ دور المراقب والمصحح،

أي دور الراعي الذي يترك أغنامه ترعى كيفما تريد، بشرط ألا تبتعد عن القطيع، أو تضيع، ولا يسمح للذئب بالاقتراب منها.

سامي: وأي أسرة هي الأفضل؟

أحمد: الأسرة المحاورة طبعاً فهي تنمي عقول أعضائها، وتجعلهم قادرين على اختيار القرار الصحيح وتحمل نتائج اختيارهم. فجأة انتبه أحمد فإذا هو يتكلم ويتكلم، بينما الباكون يأكلون، نظر إليهم نظرة تدل على فهمه لما قاموا به، فضحكوا جميعاً، وامتنع هو عن الكلام وتابع طعامه الذي كاد ينساه. وبينما هم كذلك هطل المطر خفيفاً، ثم بدأ يشتد رويداً رويداً، حتى صار كالعاصفة، خاصة لَمَّا هبَّ الهواء القوي الذي صار يضرب النوافذ والشبابيك بالأمطار، ويحاول إدخال البرد إلى داخل البيوت من الشقوق الصغيرة في الجدران، ولم يُعدْ للمدفأة أي تأثير، فأسرعوا يزيدون حرارتها.

قال جميل: من أين جاءت هذه الرياح الآن؟ أما كان يكفيننا البرد السابق!! ليت الله يأخذها ويريحنا منها.

الأم: لا تقل هذا الكلام، لأنه اعتراض على إرادة الله، والاعتراض لا يجوز، ولكن قل: (اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)<sup>(١)</sup>.

جميل: وهل تحمل الرياح العذاب؟

الأم: طبعاً! تحملها على الظالمين الذين غضب الله عليهم.

جميل: وكيف ذلك؟ كيف تحمل الرياح العذاب على الكافرين؟

الأم: قبل أن أجيب عن هذا السؤال يجب أن تتعلموا دعاءً تقولونه بهذه المناسبة.

(١) البخاري: الأدب المفرد.

جميل: وما هو؟

الأم: روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»<sup>(١)</sup>.

أخذ الأولاد يرددون هذا الكلام محاولين حفظه، وأمهم تصوب لهم الخطأ حتى حفظوه، وصاروا يرددونه كثيراً، لعل الله يرحمهم ويرد عنهم العذاب الذي تأتي به الريح، وكان أبوهم يردده معهم. وكم كانت دهشتهم عظيمة عندما وصل إلى أسماعهم صوت المؤذن ينادي لصلاة المغرب. لقد مرّ الوقت بسرعة من دون أن يشعروا ولكنهم مصمّمون على سماع قصة الريح التي تحارب في سبيل الله، ومصمّمون على إظهار الطاعة لله، فقاموا بسرعة، فتوضأوا وأقاموا الصلاة جماعةً، جميعهم دون استثناء، وكانت سعادتهم كبيرةً بهذه الصلاة مع أبيهم الذي لم يذهب إلى المسجد بسبب غزارة الأمطار التي حبست الناس في بيوتهم.

عندما انتهت الصلاة أسرع الأم، فجهزت بعض شطائر الجُبنة واللبننة، ووضعت إبريق الشاي، وذلك ليتناولوا طعاماً خفيفاً، ويستعينوا بالشاي لطرد البرد، الذي يحاول الدخول إلى أجسامهم بمختلف الطرق.

انتهوا من الأكل واحتسوا أكواب الشاي اللذيذ، ثم قام أحمد ورفع الأكواب الفارغة إلى المطبخ، وعاد بسرعة إلى مكانه، فقال جميل: حديثنا لم ينته بعد. ضحك الجميع للطريقة التي تكلم بها، والتي تُنمُّ عن استعدادة الدائم لسماع القصص المفيدة.

قال الأب: ألا تقومون فتصلوا وتناموا حتى تستيقظوا باكراً للمدرسة؟.

(١) صحيح مسلم: حديث، ٨٩٩.

قال الجميع: لا، نستمع أولاً لقصة الرِّيح المحاربة وإلا فلن نستطيع النوم.

قالت الأم: حسناً لا تقلقوا. سأخبركم من تحارب الريح. إنها تحارب الكافرين الذين يعصون الله ويؤذون رسله. ليس الريح فقط، بل كل ما في الوجود يحارب في سبيل الله، ويدافع عن أنبيائه، كما فعل المطر والظوفان مع قوم نوحٍ إن كنتم تذكرون، الريح حاربت عاداً قوم هود وأهلكتهم.

جميل: هود! هل هو من اليهود؟

الأم: لا، إنه ليس منهم لأنهم لم يكونوا موجودين بعد، ولكنه نبي من أنبياء الله المرسلين بعد نوح، كان يعيش في منطقة تسمى الأحقاف<sup>(١)</sup>، هي اليوم أودية صحراوية بين عُمان وحضرموت.

جميل: وما معنى هود؟ ومن هو هذا النبي؟

الأم: هود جمع هائد، وهو التائب الراجع إلى الحق<sup>(٢)</sup>، وهو أول نبي ظهر في بلاد العرب بعد الطوفان.

سامي: ولماذا حاربت معه الريح، وأهلكت قومه؟ ماذا فعلوا؟

تدخل الأب: هل تذكرون ما قالته لكم أمكم؟

أحمد: أجل نذكر كل ما تقولانه لنا أنت وأمننا.

الأب: إذاً لا بأس من مراجعة قصيرة نتأكد فيها من ذلك، ونتذكر ما نسيناه أو ما قد نجد أنه غير مهم. فالحقيقة أن كل ما يتعلق بحياة

(١) الأحقاف: جمع حقف، وهو المعوج من الرمل في استطال الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة حقف.

(٢) موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، معجم أسماء العرب المجلد الثاني، ص ١٨٣٤.

الأنبياء، والمشكلات التي تعرضوا لها، والمعجزات التي حققوها، كلها مهمة، ويجب أن نتعرف عليها، ولا يمكننا إهمال شيء منها.  
الأولاد: حسنُ اطرح الأسئلة وسترى أننا سنجيب عنها.

الأب: أين رست سفينة نوح؟

أحمد: رست على جبل الجودي. وقد جاء هذا في القرآن الكريم:  
﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾<sup>(١)</sup>.

الأب: وأين هو جبل الجودي اليوم؟

أحمد: لا أدري. فلم تذكر أمي لنا هذا في قصة نبي الله نوح.

الأب: إنه جبل مظل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة في العراق، شمال غرب الموصل، عليه استوت سفينة نوح ﷺ لما نضب الماء، وما زال اسمه حتى الآن جبل الجودي.

أحمد: وهل تعلم يا أبي من هم الذين نجوا مع النبي نوح؟

الأب: الذين نجوا قليلون، وهم الذين آمنوا به، ولكننا لا نعلم من أسمائهم سوى نوح ﷺ وأبنائه الذين لا نعرف أسماءهم بشكل يقيني، والله سبحانه وتعالى قال في قرآنه: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> هذا يعني أن جميع الذين نجوا ما عدا أولاد نوح، لم يولد لهم أبناء فماتوا وانتهى أمرهم، وجميع الناس اليوم هم من ذرية أولاد نوح، وبهذا كان نوح ﷺ الأب الثاني للبشرية، بعد آدم ﷺ لأن الحياة استؤنفت به وبأتباعه بعد الطوفان.

نظرت الأم إلى سامي فإذا هو قد نام. فقالت: إن أخاكما قد نام، فهل من المعقول أن تستمعا للقصة وحدكما؟

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٧٧.

الولدان: طبعاً لا.

الأم: إذاً يجب أن تناما أيضاً، لأنكما تشعران بالنعاس - فعيونكما حمراء - ولكنكما تكابران، نانا الآن وإن شاء الله تعالى، نتابع القصة غداً.

استجاب الولدان لكلام أمهما، فالنوم مهم جداً، وهما بالفعل يشعران بالنعاس، وإذا لم يناما الآن فلربما ينامان في الصنف غداً، ولكنهما لم ينسيا صلاة العشاء...

اجتمعت الأسرة في اليوم التالي كالمعتاد، بعد انتهاء الأولاد من أداء واجباتهم المدرسية، التي صاروا ينجزونها بسرعة وجدّ، خصوصاً بعد أن علموا أيضاً أنهم بذلك سيكونون بارّين بأبويهم، ولهذا سيرضى الله عنهم؛ لأنه أوصانا بالبر بالوالدين، فقال تعالى: ﴿وَفَضَىٰ رُبُّكَ آلاَ تَعْبُدُوا إِلَّا آيَاهُ وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ولكنهم قبل أن يطالبوا أمهم بإكمال القصة قاموا إلى صلاة المغرب التي حان وقتها، والتي ذهب الأب لأدائها جماعة في المسجد. تحلّقوا حول المدفأة مع أمهم فبادر أحمد بالكلام:

أحمد: أجل يا أمي.. أخبرينا الآن لماذا حاربت الريح مع النبي هود؟

الأم: نعم يا بني، لقد جرى هذا بسبب غضب الله تعالى لرسوله، الذي يبذل كل جهده في سبيل الدعوة للحق والدين القويم،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

وبسبب غضبه تعالى على المشركين الذين رفضوا الاستجابة لكلام نبيهم، ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣) (١).

أحمد: (القوم المشركون)؟ ألم يحلّ عليهم غضب الله في زمن النبي نوح فمحقهم بالطوفان؟

الأم: هنالك أكثر من قوم مشركين في كل زمان ومكان، وهل تعتقد أن الشيطان سيترك الناس لينعموا بعبادة الله الواحد؟ ألم يقسم أنه سيغوي آدم وابناه حتى يحرمهم من دخول الجنة؟

سامي: بلى، لقد أخبرتنا هذا في قصة خلق أبينا آدم.

الأم: ألا ترى أن الشيطان سيعمل جاهداً لتنفيذ وعيده؟

جميل: هل هذا معناه أن قوم (هود) عبدوا الأصنام كما فعل قوم نوح؟

الأم: وهل الشرك بالله يكون فقط بعبادة الأصنام؟

أحمد: طبعاً نعم، أليس معنى الشرك أن نجعل لله شريكاً؟

الأم: بلى، ولكن هل الشرك بالله بعبادة الأصنام فقط؟ لا، إطلاقاً، إن الشرك بالله أنواع ودرجات. فكل ما نعظمه ونحبه أكثر من حبنا لله هو شرك بالله (٢): فمن يهتم بتجارته وعمله ويحبهما أكثر من أي شيء آخر، ويعتقد أنهما سبب معاشه فهو مشرك. وقد ورد في القرآن الكريم ذكر لصفة من صفات المؤمنين تتحدث عن عدم إلهاء التجارة لهم عن ذكر الله، ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣)، ومن يهتم بجمع المال

(١) سورة هود، الآية: ٥٣.

(٢) الشرك هو ضد التوحيد، وهو اتخاذ شريك لله تعالى في الذات أو في الصفات، أو في الأفعال، أو في العبادة.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٧.

ويكرس حياته له ويترك طاعة ربه فهو مشرك، ومن يهتم بمرضاة الناس على حساب مرضاة الله ودينه فهو مشرك، ومن يكثر من حمل الهموم من دون أن يعتقد أن الله تعالى خالق الأكوان ومدبرها، وأن عليه التسليم لقضاء الله فهو مشرك، ومن يخرج عن دين الله ومنهجه فهو مشرك.

سامي: وأي نوع من الشرك كان شرك قوم هود عليه السلام.

الأم: كان شركاً مركباً متعدداً، فقد جمعوا بين عبادة الأصنام والخروج على منهج الله تعالى وشرعه. وعبدوا زعماءهم، ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِبَايَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ. وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾<sup>(١)</sup>، وأصبحوا أيضاً عبيداً لأعمالهم وصناعاتهم، ونسوا أن الله الذي علمهم إياها، وسخر لهم موادها الأولية، وأعطاهم من القوة البدنية ما لم يعط غيرهم من البشر، فلم يحمده ولم يشكروه - والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، والمثل يقول: (وبالشكر تدوم النعم). والله سبحانه وتعالى ليس بحاجة لنا ولا لشكرنا، بل نحن المحتاجون إليه، وعلى هذا الهدف يعمل إبليس. هل تعتقدون أنه غيبي حين طلب من الله عز وجل أن يمهلته إلى يوم البعث، جعل هدفه الشرك والفساد، وإبعاد أبناء آدم عن طريق الخير، وإيقاعهم في الهاوية كما أخبرنا تعالى، ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾<sup>(٣)</sup>، يجب علينا أن نذكر دوماً أن كل ما نعم به هو من عند الله فنشكره. فإن الشيطان ذكي، يعرف أنه لو جاء للمؤمنين وخاطبهم ووسوس لهم بشكل مباشر ليعبدوا غير الله فلن يقبلوا، بل سيلتزمون بدينهم ويعضون عليه بالنواجذ، ولكنه يأتيهم من ناحية السنن

(١) سورة هود، الآيات: ٥٩، ٦٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٦، ١٧.

والآداب، ليجعلهم غير حامدين لله غير شاكرين له، فيقول لهم مثلاً: لماذا تصلي السنن والنوافل؟ هل فرضها الله عليك؟ اكتف بالفرائض، فإذا تهاون بالسنن سهّل عليه ترك الفرائض. ثم يقول له: لماذا تحمد الله وتشكره؟

صحيح أن الله خلقك وعلمك وأعطاك ووهبك، ولكنك أنت الذي تعمل، وأنت الذي تخترع، وأنت الذي تتعب، فيصدق هذا الإنسان التعس ويتهاون، فيصل إلى الشرك والكفر اللذين يؤديان إلى غضب الله ومقتته.

قاطعها زوجها الذي عاد قبل قليل من المسجد بعد أن صلى صلاتي المغرب والعشاء: أجل يا أحمد، لكن بالرغم من أن الشيطان له قدرة على الوسوسة للإنسان فإن الله ﷻ وهب الإنسان القدرة والإرادة على مقاومة الشيطان والانتصار عليه، ولا يمكن أن يقع في حباله إلا من كان ضعيف الإرادة، ضعيف الإيمان بالله. فالشيطان ليس له سلطان على المؤمنين قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفِرِّزُ مِنَ الْإِيمَانِ إِنَّكَ عَلَىٰ عِلْمٍ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ (٢).

وقد اعترف إبليس نفسه بهذا الأمر بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣). ولقد سلط الله تعالى إبليس على ذرية آدم ﷺ،

- (١) سورة الإسراء، الآيتان: ٦٤، ٦٥.  
 (٢) سورة النحل، الآيات: ٩٨ - ١٠٠.  
 (٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

ومكّنه منهم وجعل له مجالاً لإغوائهم والوسوسة لهم، وذلك ابتلاءً وامتحاناً لهم، ورغم كثرة الأسلحة في إغواء جنده من ذرية آدم ﷺ فإنه عاجز عن إغواء عباد الله الصالحين، وإبليس يعلم عجزه عن التأثير في عباد الله الصالحين.

الأم: جزاك الله خيراً يا أبا أحمد على هذا التوضيح. ولقد ضرب القرآن الكريم لنا مثلاً للشاكرين سيدنا نوح ﷺ حيث مدحه الله في القرآن بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣) (١)، فلم يقل كان مصلياً، ولا كان مزكياً، ولا أي شيء آخر، بل قال: ﴿شَكُورًا﴾ (٣) (٢)، كان يشكره إذا أكل، وإذا شرب وإذا استجاب لدعوته أحد من قومه على قتلهم.

ولهذا خلّصه ومن معه في الفلك، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٥) (٢). ولهذا غضب الله على قوم هود، فأرسل عليهم الريح التي قضت عليهم ومحقتهم، فلم تعد لهم آثار، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٨) (٣).

نعود الآن إلى القصة نحكيها بتسلسل وتدرج، بعد أن رست السفينة على جبل الجودي، عاش نوح ﷺ وأتباعه المؤمنون مؤمنين بالله تعالى موحدين، ثم تفرّقوا في الأرض، وتوفي نوح ﷺ وتشعبت ذريته شعوباً وقبائل.

وكانت منهم قبيلة عاد التي أقامت في منطقة الأحقاف. قامت هذه القبيلة في أيامها الأولى على الإيمان بالله وتوحيده، ولا ندري كم استمروا على الإيمان بالله وتوحيده، ولا متى استحوذت عليهم الشياطين وحولتهم إلى الشرك. نسي الناس ما حلّ بقوم نوح، فأشركوا بالله وافتروا عليه

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٥.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٨.

الكذب، وطَعَوْا وتَجَبَرُوا وأفسدوا في الأرض، فحقَّ عليهم العذاب.

ولكن الله سبحانه وتعالى لا يعذب قوماً حتى يرسل إليهم رسولاً، يُبشِّرُهُمْ برحمة ربهم، ويُنذِرُهُمْ عذابه الأليم، حتى لا يبقى لكفرهم عذر، كما ذكرنا ذلك في تفسير معنى الفطرة.

جميع الأنبياء كانوا صالحين خلوقين، اشتهروا بالصدق والعفة والأمانة والإخلاص، حتى لا يقول الجاحدون: نحن لا نصدق الكاذبين، أو لا نأتمن اللصوص وسيئي الأخلاق.

لقد أرسل الله إلى (عاد) رسولاً منهم، يدعوهم للدين ويذكرهم به، ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴿١﴾﴾. إذاً، بدأ هود عليه السلام دعوته بالتوحيد التي هي دعوة جميع الرسل. فكل الأنبياء بدأوا دعوتهم بالدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، والتأكيد عليها في أذهان الناس وقلوبهم، قبل أن يعلموهم أركان الدين أو الفروض والواجبات التي تترتب على هذه الدعوة.

أمرهم إذا بالرجوع إلى الله ونبذ عبادة الأصنام. لقد كانوا يعرفون أن الله واجب الوجود - كما يعرف جميع الناس: مؤمنون وغير مؤمنين - ولكنهم كانوا يشركون معه آلهة أخرى: حب الدنيا والتكالب على الشهوات اللذين أعميا قلوبهم وأصموا آذانهم، ما جعلهم يبتعدون عن نبيهم ويخاصمونهم ولكنه لم ييأس، وهذا أهم ما يمتاز به من يحمل رسالة: الصبر الجميل. هذا الصبر مع الحلم والأناة يلزم جداً لإقناع الناس بما يقول، وليست مشكلة الرسول بعد ذلك إن آمن الناس أو كفروا، ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِعٌ نَّفْسَكَ عَلَيَّ ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ (٢)، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴿٣﴾﴾. إلا أن الأنبياء كانوا يبذلون أقصى جهدهم وطاقتهم لإقناع أقوامهم، فهم أهلهم وذوو قرابتهم وبهذا هم يحبون لهم الخير

(١) سورة هود، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٩.

والفلاح، ﴿وَأَذْكُرْ أَنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعَبُّدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١١) ﴿١﴾.  
ولكنهم كذبوه ولم يصدقوه فأكد لهم أنه لا يبتغي من رسالته غير مصلحتهم ليغفر الله لهم لأنهم قد وقع عليهم غضب الله، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢٧) ﴿٢﴾.

ولكنهم تَمَادَوْا في غيِّهم وسفاهتهم ورفضهم لعبادة الله الواحد خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ بَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (١٥) ﴿٣﴾، لقد اغترَّ قوم عادٍ بقوتهم، وقادهم هذا إلى الاستكبار في الأرض، واستعباد الآخرين، وقالوا من أشد منا قوة؟ ونسوا قوة الله.

كانت دعوة هود عليه السلام بغاية التقرب والتحبب، وذلك ليرقق قلوبهم، ويفتحوا آذانهم، فهو أخوهم أولاً، ثم هو واحد منهم، لأنهم قومه وأهله وعشيرته فهو حريص على تقديم الخير لهم، ودفع الضر عنهم. وذكرهم بنعم الله عليهم، وأنكر عليهم ترفهم وبطشهم وتجبرهم، ورغبهم بالاستغفار، كما فعل نبي الله نوح من قبل، وكما فعل جميع الأنبياء الذين جاءوا بعده، ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥١) وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَابًا مِمَّا تَكْتُمُونَ بِسُوءِ الظُّلْمِ الَّذِي تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ مَنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ (٤).

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٢٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٥.

(٤) سورة هود، الآيات: ٥١ - ٥٥.

الأب: وماذا يقصدون بعبارة: ﴿مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾؟

الأم: لقد طالبه قومه بمعجزة يُثبِتُ لهم فيها أنه نبي. وهذا ما يفعله جميع معاندي الأنبياء.

الأب: أولم يأتهم بمعجزة؟

الأم: لم يرد في كتاب الله ولا سنة نبيّه معجزة مادية لسيدنا هود عليه السلام ولكن ورد أنه تحداهم بقتله فحاولوا ذلك ولم يستطيعوا، ومع هذا لم يؤمنوا ولم يصدقوا وتمادوا في تصرفاتهم الفاسدة فقال: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبَكَ بَعْضَ آلهَتِنَا يَسُوءُ قَالِ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) من دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ (١).

سامي: لم أفهم هذه المعجزة!

أحمد وجميل: ولا نحن. أين المعجزة في أنه طلب من قومه الكيد له؟

الأب: إن الموقف الذي وقفه هود عليه السلام من قومه هو آية من أعظم الآيات. فقومه كانوا أمة عظيمة كثيرة، وأخبرنا الله أنه لم تكن أمة في ذلك الوقت بمثل قوة عاد. ومع ذلك يأتي هود عليه السلام فيتحدى هذه الأمة القوية الظالمة، وهو رجل واحد، ويخاطبها، بهذا الخطاب، من دون خوف ولا فزع ولا جبن ولا ضعف.

وقد أشهد الله على براءته منهم ومن دينهم ومن معبوداتهم الباطلة، ثم أشهدهم على براءته منهم، وصرح لهم بمخالفته لهم، واستهان بهم وبقوتهم، واستخف بما عندهم وازدراهم، ولذلك دعاهم إلى أن يكيدوه ويهجموا عليه، ويصبوا كل حقدهم وقوتهم عليه، من دون أن ينظروه أو يمهلوه أو يخبروه، فهم إن فعلوا ذلك لن يضره.

(١) سورة هود، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

هذه هي الآية البينة التي أيد الله بها هوداً عليه السلام وأوحى له أن يتحدى قومه الأقوياء، وفعلاً نصر الله نبيه، وأهلك أعداءه<sup>(١)</sup>.

حمد الأولاد ربهم على دفاعه عن المؤمنين.

الأم: لقد منح الله سبحانه وتعالى قوم هود من مظاهر القوّة المختلفة ما لم يمنحه لغيرهم، فكانوا أقوى الناس في زمانهم وأغناهم. وكانت لهم حضارة عظيمة فبنوا القصور الشامخة، والأبنية العالية، وكانوا بينونها فقط لإظهار قوتهم وجبروتهم ومدى غناهم، مع أن الواجب أن ينظروا إلى جيرانهم الفقراء والضعفاء، يساعدونهم ويعطفون عليهم، إلا أن هذا لم يحدث، فقد كانوا يبطشون بهم بقوة وكأنهم حشرات لا وزن لها، وقد ذكر الله ذلك في كتابه الكريم على لسان نبيه هود عليه السلام: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَخْدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾<sup>(٢)</sup>. لقد بلغ من قوة هؤلاء القوم وعظمة حضارتهم أنهم بنوا مدينة ضخمة صارت مضرباً للأمثال، وورد ذكرها في القرآن الكريم ووصفت بأنها، ﴿لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي أَلْبَدِ ﴿٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

جميل: لم يُخلَقْ مثلها في البلاد؟! وكيف ذلك؟

الأم: كانوا يكثرون من العمران والبناء، ويزرعون رؤوس الجبال وقيم المرتفعات بالقصور، والدور. ويعتبرونها علامةً على قوتهم وثروتهم وغناهم. فقد كانوا يبنون القصور لأجل الشرف والبطر والعبث كما كانوا يتوسعون في المصانع ويكثرون منها، ويستخدمونها لمختلف الأغراض، لعلهم يخلدون في هذه الدنيا. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) الخالدي، صلاح، القبسات السنية في شرح العقيدة الطحاوية، دمشق، دار القلم، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص. ٣٨ - ٣٩.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٨ - ١٣٠.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٨.

وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ﴿١﴾ . وكان  
 نبي الله هود عليه السلام ينكر عليهم هذا الترف ويرفضه، فقد نتج عن هذا  
 السرف والترف والبطر والكفر بالله وإنكار الآخرة، لأنهم كانوا يبنون  
 القصور والمصانع، ويستخدمونها لمختلف الأغراض، لعلهم يخلدون في  
 هذه الدنيا. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ  
 وَأَتَرَفْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ (٢).

وماذا يُنتج العبث والسرف غير الترف والبطر؟ والقوم العابثون  
 المسرفون المترفون، الذين لا يرون إلا الدنيا، ولا يفكرون إلا فيها، هل  
 يؤمنون بالله؟ وهل يشكرونه؟ وهل يتذكرون الآخرة؟ وهل يعملون لها؟ هذا  
 ما كان عليه قوم عاد (٣)!!

أحمد: ترى ألم يحاول أحدُ الكشف عن آثار قوم عاد؟

الأم: وكيف يستطيعون؟ لقد حكم الله عليها بالفناء مع أصحابها،  
 فهل يعود الأموات للحياة الدنيا؟

لقد طمرها الله بريحه التي أرسلها على قوم عادٍ في الصحراء،  
 ومكانها صار يسمى بالرُّبْع الخالي، أي المكان الذي ليس فيه أحياء: لا  
 بشر ولا حيوانات ولا أشجار، مع أنه كان مليئاً بذلك في يوم من الأيام.

جميل: وما الدليل على هذا؟

الأم: دليلنا آبار البترول التي تظهر هناك بشكل كثيف، وما البترول  
 إلا ما تخزّن في باطن الأرض من بقايا الأحياء.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٣٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٣٣.

(٣) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، ج ١، دمشق دار القلم، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م،  
 ص ٢٣٥ - ٢٣٧، بتصرف.

ودليلنا أيضاً حديث قاله سيدنا محمد ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»<sup>(١)</sup>. وكلمة (تعود) معناها أن ذلك كان فيما مضى واندثر، ولكنه سيعود في يوم من الأيام، وهذا من معجزات الرسول ﷺ.

ونعود إلى القصة. عندما كانوا على هذا المستوى من القوة ذكّرهم هود ﷺ بأن الله هو الذي أقدّره على ذلك، فيجب عليهم شكره وإسداء الحمد على نعمائه، وأن هذا الشكر وهذا الحمد لن يفيد الله شيئاً، وإنما هم الذين سيستفيدون من دوام النعم عليهم، فرفضوا بإصرار وأنكروا كلامه أيما إنكار، فهدّدهم هود ﷺ عند ذاك بغضب الله وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا الَّذِي أَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ تَلَمَّوْنَ ﴿١٣٦﴾ أَمَّا بِنِعْمِ رَبِّكَ فَحَنَّتْ وَعْيُونِ ﴿١٣٧﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٨﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ولكنهم أجابوه بقوة: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لم تكن من الواعظين ﴿١٣٩﴾﴾ إن هذا إلا خلق الأولين ﴿١٤٠﴾ وما نحن بمُعذِّبين ﴿١٤١﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد تمسكوا بديانتهم التي ابتدعوها، وأصنامهم التي صنعوها بأيديهم، هم وآباؤهم، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾<sup>(٤)</sup>. ﴿أَجْتَنَّا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾<sup>(٥)</sup>.

فغضب هودٌ من كلامهم وقال لهم: ﴿فَدَّ وَفَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَاَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي (٧ - ٩٧).

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٣١ - ١٣٥.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٣٦ - ١٣٨.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٧٠.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٧١.

اغترّ قوم عاد بقوتهم ورأوا أنفسهم أقوى من غيرهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ (١). إن القوة المادية عند غير المؤمنين تغرهم وتطغيهم، وتعميهم عن رؤية الحقائق، وتقودهم إلى الاستبكار في الأرض، واستعباد الآخرين وتُنسيهم قوة الله، وتجعلهم يكفرون به ويجحدون بآياته. وهذا هو المرض الخطير الذي أصاب قوم عاد فانتفشوا وتاهوا وتجبروا وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (٢).

أحمد: أما كان بإمكان سيدنا هود عليه السلام المحاولة معهم بطريقة ثانية؟

الأم: لا طبعاً؛ لأنه استخدم معهم كل الأساليب. فقد بدأ دعوته لهم بغاية التقرب والتحبب، كما قلت لكم سابقاً، ثم انتقل إلى أسلوب التهيب بعد الترغيب، ثم ذكّرهم بنعم الله واستخلافهم بعد قوم نوح.

فسخط الله على الكافرين ونجى هوداً عليه السلام والذين معه، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (٣).

جميل: (الذين معه) هذا يعني أن هناك فئة صدّفته وآمنت برسالته؟

الأم: طبعاً، ولكنهم كانوا قلة.

سامي: ولماذا صدّفته هذه الفئة؟

الأم: التصديق له أسباب متعدّدة، منها أنهم ربما كانوا يعرفون صدقه وأمانته قبل الدعوة فعلموا أنه صادق، ثم إن الإيمان - قبل كل شيء - نور يقذفه الله في القلوب، فإذا كانت هذه القلوب صافية نقية تستنير بهذا النور

(١) سورة فصلت، الآية: ١٥.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٢.

حتى يملأها فتسعد، وأما أن تكون قاسية جبّارة مستكبرة تسدّ منافذها جميعها، فتبقى أسيرة الظلام والكفر، غضب الله عليهم غضباً شديداً بعدما استنفد له جميع الوسائل لإعادة قومه إلى سواء السبيل، ولكن الشيطان كان قد تملّكهم بشكل قويّ، فلم يعودوا يلتفتون إلى الحق. فأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية، دفنتهم جميعاً في رمال الصحراء التي كانت تحيط بهم، ودفنت معهم مدينتهم العظيمة التي لم يخلق مثلها في البلاد.

سامي: وكيف كان ذلك؟

الأم: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسَقِّبًا أَوْ دَائِبًا قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾<sup>(١)</sup>. كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم جعلوا في محل جذب وانحباس الأمطار فطلبوا السُّقْيَا فرأوا عارضاً في السماء وظنّوه سُقْيَاً رحمة فإذا هو سُقْيَاً عذاب.

تململ الأولاد وقالوا: لماذا تقرئين من الكتاب فسري لنا هذا الكلام؟

الأم: أعتذر، ظننت أنكم ستفهمون.

أحمد: أعتقد أنني فهمت. لقد كان قوم عاد محتاجين للمطر الذي أنقطع عنهم لمدة سنين، فلما رأوا هذا العارض - والذي لم أفهم معناه - اعتقدوا أنه المطر ففرحوا، ولكن تبين بعد ذلك أنه عذاب.

الأب والأم معاً: أحسنت، أحسنت ها أنت قد شرحت بشكل ممتاز.

ابتسم أحمد فخراً وزهواً بنفسه وقال: أنا بطل، ابتسم الأخوان فرحاً بأخيها.

(١) سورة الأحقاف، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

تابعت الأم: كلمة (عارض) تعني السحاب المعترض في الأفق والسماء. وقد حرموا المطر عدة سنوات فتعبوا وعطشوا، وهلك الزرع، وهلكت الماشية، فبيست الأشجار.

وعندما حلّ غضب الله وحقّ العذاب، أرسل الله عليهم ريحاً قوية مدمّرة. وقد ورد خبر هذه الرياح على لسان سيدنا محمد ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلاً في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج وتغيّر وجهه، فإذا أمطرت السماء سُري عنه، فعرفته عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «ما أدري لعله كما قال: قَوْمٌ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيْنِهِمْ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٤]»<sup>(١)</sup>.

وعادت الأم لمتابعة القصة: إسودّ الجو بسبب اعتراض الغيمة السوداء طريق الشمس فحجبتها، ففرح الناس - كما نفرح نحن عندما تظهر غيوم الشتاء السوداء فظنوا أن المطر سيغيثهم، ولكن تبين أنها تحمل ريحاً صرّصراً عاتية.

جميل: ما معنى صرّصراً عاتية.

الأم: الصرّصر هي الشديدة البرودة، والعاتية هي العاصفة القوية، التي هجمت على الناس فقتلتهم جميعاً.

سامي: ولماذا لم يختبئوا منها في بيوتهم؟

الأم: وهل استطاع قوم نوح الاحتماء من الطوفان؟ لقد صعد الناس إلى قمم الجبال، ولكن الماء تبعهم وأغرقهم. أليس كذلك؟

سامي: بلى.

---

(١) الترمذي (٣٢٧٤). والبخاري برقم: ٣٢٠٦، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: [الفرقان: ٤]. ٤٨٢٨، ومسلم برقم: ٨٩٩.

الأم: هذا فعلاً ما حصل لقوم هود لقد اختبأوا في بيوتهم في الكهوف والمغاور ولكن ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣]. لقد انتصرت عليهم الريح وصاروا يتطايرون، كما تتطير الأوراق.

أحمد: وكم دامت هذه المأساة؟

الأم: دامت أياماً معدودة - أسبوعاً كاملاً - اسمعوا ما جاء في القرآن الكريم يصف ما جرى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾<sup>(١)</sup>، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِفَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٦﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

أحمد: ولكن يا أمي، أليس في هذا الكلام تعارض؟

فمرة يذكر أن المأساة دامت ثمانية أيام، ومرة يقول في يوم نحس مستمر؟

الأم: لقد دامت العاصفة ثمانية أيام متوالية، لم تكن تهدأ ليلاً أو نهاراً، ولم يكن الكافرون يستطيعون في ذلك اليوم التفريق بين الأيام؛ لأن النحس كان يلاحقهم في كل مكان، وفي كل زمان، فبدت وكأنها يوم واحد طويل.

الأب: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

وردّد الجميع لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

جميل: وماذا حصل لنبي الله والمؤمنين؟ هل هلكوا مع الهالكين؟

الأب: طبعاً لا، فالله سبحانه وتعالى لا يساوي المؤمنين بالكافرين،

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٦ - ٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٦.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٩.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجُرْمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، لقد نَجَّاهم وأخرجهم من القرية الظالم أهلها كما نجى نبيه نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ والذين آمنوا معه، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

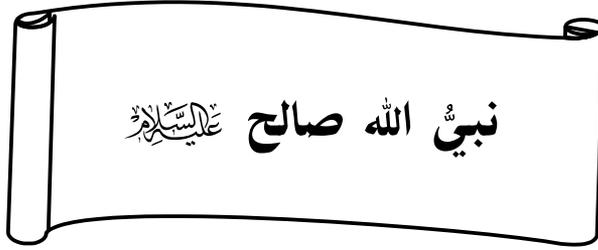
الحمد لله رب العالمين.

نهض الأولاد إلى أسرّتهم وهم يحمدون الله على أن خلّص هوداً عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنين، وعلى كل ما أنعم به عليهم، ويستغفرونه ويتوبون إليه لعله يغفر لهم ذنوبهم.



(١) سورة القلم، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٧٢.



عاد الأولاد إلى البيت فرحين مسرورين؛ لأنهم استلموا بطاقات علامات الشهرية، وكانوا جميعاً من الأوائل في صفوفهم، مع ازدياد ملموس في مجموع العلامات، بالإضافة إلى بطاقات الامتياز المكتوبة بماء الذهب، التي نالوها لحسن أخلاقهم، في تعاملهم مع معلمهم ورفاقهم.

ولا تسل عن فرحة الوالدين بأخلاق ونجاح أولادهما!!...

فصنعت الأم قلب الحلوى اللذيذ الذي يحبه أولادها، والذي لا يعرف أحدٌ كيف يصنعه مثلها، فهي ماهرةٌ في هذه الأمور، أما الأب فقد سأله عن الهدايا التي يحبون أن يُحضرها لهم، فتركوا له الحرية في ذلك، وإن كانوا يُفضّلون رضا أبويهم عنهم على كل الهدايا. أخيراً سألهم: ما رأيكم بالعمرة؟

سامي: وما معنى العمرة؟

الأب: هي زيارة بيت الله الحرام في مكة، وتأدية بعض أعمال الحج، ولكن دون الوقوف بعرفة.

جميل: ولماذا استثيت الوقوف بعرفة؟

الأب: لأنه هو الحج. فقد قال رسول الله ﷺ: «الحجُ عرفة»<sup>(١)</sup>.

(١) أحمد (١٨٧٧٣)، (١٨٧٧٤) بلفظ الحج عرفة (١٨٧٧٥) بلفظ الحج يوم عرفة.

جميل: هذا يعني أن الحجاج إذا لم يقفوا بعرفة يكون حجهم باطلاً؟  
الأب: أجل، هذا صحيح.

أحمد: حسنٌ، ولكن كيف سنذهب؟ برّاً أو بحراً أو جواً؟  
الأب: سنذهب برّاً، بسيارتنا، حتى يتسنى لنا التعرّف على الطريق،  
ونشاهد المعالم الأثرية الموجودة فيها.

أحمد: آثار؟! لماذا؟

الأب: لتتعرف على تاريخنا العربي والإسلامي، لا سيما وأنه في  
تلك المناطق عاش بعض الأنبياء، عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة  
والتسليم.

فرّدّد الجميع: عليه وعليهم الصلاة والسلام.

قال جميل: ومَنْ أولئك الأنبياء؟

الأب: إنهم إبراهيم وإسماعيل وصالح وهودّ وشعيب ولوط عليهم السلام.

أحمد: وهل تعرف الطريق إلى هنالك؟

الأب: من لا يعرف يتعرّف ألم يقل رسول الله ﷺ: «إنما العلم  
بالتعلم»<sup>(١)</sup>.

جميل: وكيف ستعرّف؟

الأب: ألم يقل المثل: (من كان لديه لسان لا يضيع)؟

جميل: هذا يعني أنك ستسأل؟

الأب: طبعاً.

فسأل أحمد: ومن ستسأل؟

---

(١) صحيح البخاري، ٣ - كتاب العلم، باب العلم قبل القول (١٠/٣).

الأب: حرس الحدود ألا تعلم أن هناك أماكن على حدود كل بلد فيها بعض الجنود المسؤولين عن سلامته وأمنه، وحمايته من دخول الخارجين على القانون، ومن دخول البضائع والحاجيات الممنوعة؟

أحمد: هذا صحيح. إن والد صديقي يعمل هناك!

الأب: ولن أكتفي بالسؤال على الحدود، بل سنأخذ معنا خريطةً. تعجب الأولاد وردّوا.. خريطة؟ وهل ستعلمنا دروساً في الجغرافية؟!

ضحك الأبوان لتعليق الأولاد، وقالت الأم:

الأم: لا، لا لن نُتعبكم بدروس الجغرافية رحلتنا للعمرة والعبادة، وليست للدراسة ولكن أظنون أن الخرائط لا تستعمل إلا في دراسة الجغرافية؟

أحمد: وهل يستعملها غير معلم هذه المادة؟

الأم: طبعاً! فهي تستعمل لهذا الغرض، ولدراسة التاريخ والأدب والفنون والعلوم والآثار، وكل ما قد يخطر ببالكم. فمن لا يعرف جغرافية بلد يجهل عاداته وتقاليده وطبيعة سكانه، ولا يستطيع فهم أخلاقهم أو تفهّمها، وبعض علماء التربية يقولون: (الإنسان ابن بيئته).

سامي: ومتى تبدأ الرحلة؟

الأب: آه! ليس الآن طبعاً، فمدرستكم تنتظركم. سنذهب - إن شاء الله - أثناء عطلة فصل الربيع، فهي طويلةٌ تسمح لنا بالتنقل وإطالة التأمل.

أما الآن فيجب أن نجهز أوراقنا: جوازات السفر وتأشيرات الدخول إلى أراضي المملكة العربية السعودية.

سامي: ولماذا نذهب إلى السعودية؟ ألم تقل إننا سنذهب لأداء  
العمرة؟

أحمد وجميل: ألا تعلم أن الأماكن المقدسة التي سنزورها موجودة  
فيها؟

سامي: حقاً؟ لم أكن أعلم! (ثم تابع) هنيئاً لأهل السعودية.

الجميع: لماذا؟

سامي: لأنهم يستطيعون أداء الحج والعمرة متى يشاؤون، ولا  
يحتاجون جوازات سفر ولا تأشيرات دخول.

الأب: صحيح، معك حق في نصف ما قلت.

نظر الولد متعجباً، لكنه لم يسأل؛ لأن أباه تابع كلامه.

الأب: صحيح، فهم يستطيعون العمرة ساعة يريدون، بل أكثر من  
هذا يجب على كل واحد منهم إذا أراد دخول مكة المكرمة أن يطوف  
بالكعبة قبل أن يعمل أي شيء. أما الحج فلا يستطيعون أدائه إلا في أشهر  
الحج ولا سيما ذو الحجة، وقد جاء هذا الحصر في القرآن الكريم:  
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾<sup>(١)</sup>.

أحمد: وما هي هذه الأشهر؟

الأب: شوال وذو القعدة وذو الحجة، فقط في التسعة الأوائل من  
ذي الحجة.

أحمد: لماذا؟

الأب: لأن بعدها يأتي عيد الأضحى. والأكثر أهمية في الحج - كما  
قلنا - الوقوف بعرفة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

فرح الأولاد فرحاً غامراً بهذه الهدية الغالية، فتحمّسوا أكثر للدراسة والنجاح، ليكونوا جديرين بمحبة والديهم ورضاهما، فهم يعلمون أن رضا الله من رضا الوالدين.

عندما أعلنت المدرسة بداية عطلة فصل الربيع كان الوالدان قد انتهيا من الإعداد للرحلة الطويلة، فاطمأنا أولاً إلى إحضار الأوراق اللازمة، ثم شراء الثياب الخاصة بالإحرام، وبعض الأدوية والإسعافات الأولية، التي يجب أن يحرص كل مسافر على تأمينها، وأخيراً توفير بعض المأكولات المعلبة التي تأكداً من أنها صناعة إسلامية ولم ينسيا تأمين كميات كافية من المياه؛ لأنهم سيحتاجون للكثير منها، فرحلتهم ستكون في مسافات طويلة قسم كبير منها عبر الصحراء والشمس المحرقة.

سأل الأولاد أبويهم: متى ستبدأ رحلتنا؟

الأم: غداً بعد صلاة الفجر إن شاء الله تعالى.

أحمد: ألن نذهب لوداع الأهل؟

الأم: بلى، قد فعلنا، ولم يبق إلا خالتكم وسنزورها في المساء.

ودّعوا خالتهم ووعدوها بالاتصال بها دوماً للاطمئنان عليها، فهي بانتظار مولودها الأول في القريب العاجل.

عندما وصلوا إلى البيت، بادرهم سامي بالسؤال:

سامي: بالمناسبة، هل أحضرتم الخريطة التي سترشدنا إلى الطريق؟

الأب: طبعاً، طبعاً، ها هي.

عرض الأب الخريطة على أولاده الذين تجمعوا حولها، وكانهم جنود يلتفون حول قائدهم يتدارسون الخطة الحربية. ابتسم الأب لهذا التشبيه الذي طرأ على تفكيره وقال: أنظروا جيداً وافتحوا عيونكم. سيكون انطلاقنا من هذه المنطقة عبر طريق بيروت - دمشق - الشام، ونظّل سائرين

فيها حتى نقطع الحدود السورية الأردنية، ومنها ننطلق نحو أراضي السعودية إن شاء الله تعالى.

بعد هذا قاموا جميعاً وأدوا صلاة العشاء جماعةً ثم ناموا استعداداً للسفر باكراً. عند الصباح نهضوا من أسرتهن نشطين. صلوا الفجر، ثم صلوا ركعتي سنة السفر وارتدوا ثيابهم الجديدة، بعد أن علمتهم أنهم ماذا يقولون عند لبس ثوبٍ جديد: (الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة)<sup>(١)</sup>.

انطلقوا بسيارتهم بعد صلاة الفجر مباشرة وساروا حسب الخطة المرسومة. ولكن الفرح لم ينسهم ذكر الله ﷻ، وقراءة دعاء ركوب السيارة فكبروا ثلاثاً ثم قالوا: (سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطوِّ عنا بعده. اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل)<sup>(٢)</sup>.

لم يكن سفرهم متواصلاً، فقد تخلّله بعض التوقّف على الحدود اللبنانية السورية، والحدود السورية الأردنية، والحدود الأردنية السعودية، بالإضافة إلى التوقّف أثناء اشتداد الحرارة عند الظهيرة، وذلك للاستغلال والراحة والأكل والصلاة التي كانوا يقصرونها ويجمعونها بسبب السفر.

عبروا الحدود الأردنية السعودية، فوصلوا إلى تبوك ومنها انطلقوا عبر الطريق الدولي، الذي يربطها بالمدينة المنورة ومن ثم بمكة المكرمة. . فقال الأب:

الأب: ستتوقف الآن هنا، وبعد غدٍ بإذن الله تعالى نتابع سيرنا.

سامي: لماذا؟

(١) البخاري (٥٨٢٣)، (٥٨٤٥)، (٣٩٧٤)، (٣٠٧٠)، سنن أبي داود (٤٠٤٢).

(٢) الإمام النووي، الأذكار المتخبة، باب ما يقوله إذا ركب دابته.

الأب: أولاً، لنأخذ قسطاً من الراحة بعد هذا السير الطويل.

سامي: ولكننا لم نسر، بل انتقلنا بالسيارة.

الأب: وهل تعتقدون أن قيادة السيارة - وخصوصاً في المناطق الصحراوية ذات الحرارة اللاهبة - شيء سهل؟ إنها عملية متعبة جداً.

جميل: وأين سننام؟ أو بالأحرى، أين سنقيم خلال هذه المدة؟

الأب: لن ننزل في أي فندق، ولكن سنخيّم في هذه المنطقة.

صاح الأولاد مهللين: كالكشفة؟ يا الله هذا شيء جميل!!

ولكن سامي استدرك قائلاً: ننام في الخيمة!! ولكن كيف؟ ستدخل علينا الحشرات، وسنحترق بأشعة الشمس، فليس فيها مكيف هواء، يا إلهي الحرارة ستقتلنا.

الأب ضاحكاً: لا، لن تقتلنا، أنسيت أن أجدادنا كانوا يعيشون هنا؟ لم يكن لديهم مكيفات ولكنهم وطنوا أنفسهم على تقبل بيئتهم وتكيفوا معها.

جميل: لكن آباءنا وأجدادنا لم يكن لديهم فنادق ينزلون فيها، وكانت هذه حياتهم الطبيعية، فما الذي يجبرنا نحن على هذه الحياة؟ نحن لم نتعودها.

الأب: يا أبنائي، يجب على الإنسان العاقل أن يربي نفسه على احتمال المكاره ومغالبة الشدائد.

فماذا نفعل إذا انقطعت الكهرباء لمدة طويلة ولم يعد هناك ما يحرك المكيفات؟ هل يموت الناس؟ أم هل يكون أو يشتكون؟ عليهم أن

يتحمّلوا الحرارة والبرودة. ولا ننس وصية النبي ﷺ لنا بهذا الأمر فقال: «إخشَوْشُوا فَإِنَّ النَّعْمَ لَا تَدُومُ»<sup>(١)</sup>. وهذا هو السبب الثاني الذي من أجله اخترنا التخيم.

أحمد: وهل سيسمحون لنا بالتخيم؟

الأب: علمت أنهم سيسمحون، لهذا أحضرنا معنا خياماً وجهزنا مستلزمات ذلك.

انصاع الأولاد لقرار الوالد وسارعوا إلى مساعدته في نصب الخيمة التي تفوقوا بداخلها محاولين النوم.

ولكن عيونهم لم تغمض فهم لم يعتادوا النوم على غير الأسرة، كانوا قلقين من دخول الحشرات، لكن الشيء الذي أدهشهم كان الطقس البارد جداً خلال الليل، بعد حرارةٍ محرقةٍ تعرضوا لها خلال النهار، ولكن علموا - فيما بعد - أن هذا هو المناخ الصحراوي.

استيقظوا صباحاً على صوت المؤذن، فصلوا الفجر ثم خرجوا لمشاهدة الشمس تشرق، وهذا منظر فريد في جماله ومعناه، أنه يوحى بتجدد الحياة وعودة الأمل بعد اليأس.

بعد ذلك جهّزوا أنفسهم للانطلاق.

سامي: إلى أين ستوجه الآن؟

الأب: ستوجه غرباً إلى منطقة العُلا، وهو بعد تبوك وتيماء.

أحمد: ولماذا؟ نحن ذاهبون إلى مكة المكرمة، ويجب أن نسير على الطريق السريع.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٠/٩) ولفظ أخشوشنوا وأمشوا حفاة، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٦٩/١) بلفظ: (أخشوشنوا وتمعدوا).

الأب: سنقوم أولاً بزيارة منطقة أثرية تسمى (مدائن صالح)، وهي المدائن التي كان يعيش فيها نبي الله صالح عليه السلام وقومه الذين غضب الله عليهم، وأبادهم.

تابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى هناك حيث التقوا بمرشد سياحي، وقد حذرهم المرشد من التقاط شيء من ذلك المكان، فتعجبوا لذلك.

فقلت أهمهم: لا تعجبوا ولا تعترضوا، فقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين»<sup>(١)</sup>. ونحن إذا التقطنا أو شغلنا أنفسنا بالتقاط شيء منها سوف ننشغل عن التفكير والاتعاظ بما أصابهم، لذلك سنكتفي بالتقاط الصور الفوتوغرافية، وتكون أساساً للقصة التي ستحدث عنها عندما نعود إلى مكان إقامتنا في الخيمة.

ومع أنهم كانوا مندهشين لما يشاهدون من معالم، ولما يسمعون من الدليل السياحي الذي يرافقهم، إلا أنهم كانوا منزعجين من الأسلوب الذي يتكلم به، فهو يتكلم باللغة العامية، التي تحتوي على كثير من الألفاظ التي يصعب عليهم فهمها فيضطر الوالدان إلى الإيضاح، أو الطلب منه إعادتها باللغة العربية الفصيحة التي يفهمها الجميع، أما اللغة العامية أو اللهجة المحكية فتحتوي على كثير من الألفاظ الغريبة المستهجنة، التي حورها الناس، وبدلوا في حروفها ثم أجروها على الأسلوب العربي، وبالإضافة إلى اللغة هناك سبب آخر لانزعاجهم من الدليل وهو أنه لا يتقن فن الحديث مع الأولاد.

والذي لفت أنظارهم وجعلهم يكثرون من الضحك هو أنهم كانوا مضطرين لاستعمال المظلات، التي اعتادوا على استعمالها في فصل الشتاء لتقيهم من المطر. أما الآن فقد اشتروها من هناك لتقيهم من الشمس. وهذه

(١) صحيح البخاري (٤٤١٩).

المظلات هي الشيء الوحيد الذي أهملوا إحضاره معهم، برغم أهميته.

عادوا إلى خيمتهم بعد انتهاء زيارتهم منهكين. فالسير بين الآثار متعب. نالوا قسطهم من الراحة، خصوصاً بعد أن مالت الشمس نحو المغيب، وبدأت نسيمات الهواء تداعبهم بين الحين والآخر.

بعد أن استراحوا خرجوا للسهر أمام الخيمة، ليستمتعوا بمنظر الليل على ضوء المصابيح الكهربائية المنتشرة على الأوتوستراد الطويل، والذي لم يكن يبعد عنهم كثيراً، وعلى ضوء القمر والنجوم كما كان يفعل الأجداد والآباء. وجلست الأم تروي لأولادها قصة نبي الله صالح عليه السلام هذه المدائن لم تكن خربة في زمن النبي صالح عليه السلام ولكنها كانت عامرة بكل شيء.

في حين ذهب الأب ليتصل بأخت زوجته، ليطمئن عليها، وليعلم ما إذا ولدت أم لا، وكذلك حتى تطمئن هي وجميع الأهل عليهم.

قالت الأم: أهلك الله سبحانه وتعالى قوم هود عليه السلام ومحا حضارتهم العظيمة التي لم يوجد مثلها في الأرض. ولا يخفى عليكم أن عدم ذكر صفات بلد أو إنسان ما، والاكتفاء بقول: ليس كمثله بلد، ولا فوق جماله جمال، يدفع خيال الإنسان للتحرّك والتصور، وإضفاء كل أنواع الجمال والعظمة على ذلك الموصوف، فيكفي أن يقول الله تعالى: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)﴾<sup>(١)</sup>. حتى يذهب الخيال بالناس كل مذهب.

ثم سكتت قليلاً لتسمع ما يقوله أولادها، ولكنها ظلوا صامتين، فتابعت: وبعد أن هلكت هذه الحضارة، برزت حضارة أخرى، حضارة سهول وجبال، لا ندري كم من الوقت مرّ على هلاك عاد حتى انتعشت ثمود، وطار صيتها في البلاد، ولكن المؤكد أنها جاءت بعدها حسبما قرره

(١) سورة الفجر، الآيتان: ٧، ٨.

نبي الله صالح عليه السلام لقومه حين دعاهم: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٧٤)<sup>(١)</sup>، وكثيراً ما ورد اسم (عاد) مقترناً مع ثمود في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ (٤)<sup>(٣)</sup> وغيرها كثير.

جميل: لماذا ذكر قوم نوح و عاد و ثمود معاً في القرآن؟

الأم: ربما كان ذلك لاشتراكهم جميعاً في شيء واحد هو استحقاق غضب الله تعالى وانتقامه منهم بإهلاكهم.

سامي: هل تعلم قوم صالح عليه السلام مما أصاب قوم (هود) واهتدوا لعبادة ربهم بشكل صحيح؟

الأم: إطلاقاً، إنهم لم يتعلموا ولم يعتبروا، وازداد طغيانهم وكانهم لن يصيبهم ما أصاب هؤلاء، وكانهم معصومون عن الابتلاء والانتقام، فقالوا لنبيهم لما أنذرهم غضب الله وحذرهم منه: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (٣٨)<sup>(٤)</sup>. عندما عاد الأب قالت أم أحمد: الحمد لله على السلامة - ما أسرع ما عدت!

أبو أحمد: لقد وجدت هاتفاً في فندق قريب، وسمحوا لي بالاتصال.

أم أحمد: وهل اطمأنت على صحة أختي؟

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٠.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٤.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ١٣٧، ١٣٨.

أبو أحمد: اطمئني فهي بخير، ولكن أكملني القصة حتى لا تنقطع،  
وبعد ذلك أخبرك كل شيء.

قال هذا الكلام مبتسماً، لهذا اطمأنت زوجته ورضيت بمتابعة القصة.  
أرسل الله سبحانه وتعالى ريحاً صرصراً عاتية، فدمرت قوم عاد،  
وأنجى هوداً عليه السلام ومن معه من المؤمنين.

فعاشوا ما قدر الله لهم أن يعيشوا في مكان لم يذكر في النصوص.  
ومات (هود عليه السلام) وتبعه أصحابه المؤمنون الصالحون، لكن الشيطان يا  
أولادي ما كان ليترك الباقيين، فعمل على الوسوسة وتمكّن من غوايتهم،  
فتبعوه وانقادوا له مجدداً.

وقد نشأت من هذه الأجيال قبيلة ثمود، وكانت ثمود جبارة طاغية  
ظالمة، استحققت غضب الله بسبب كفرهم بالله وعبادة الأصنام والأوثان  
والزعماء؛ ولأنها حضارة فاسدة كحضارة (عاد)، فقد نحتوا بيوتاً شامخة  
في الجبال، واتخذوا المصانع بناءً لاعتقادهم بأنهم سيخلّدون. ومع هذا  
كذبوا برسالة نبيهم واتهموه بأنه مسحور ومجنون، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ  
الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَعَائِنَهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا  
ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾<sup>(١)</sup>، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يعذب قوماً حتى يرسل لهم  
رسولاً يعظهم وينصحهم - كما قلت لكم سابقاً - حتى لا تكون لهم حجة  
على الله.

لهذا أرسل صالحاً عليه السلام وهو رجل صالح صادق مخلص محترم من  
قوم ثمود، نشأ بينهم وترعرع في أحضانهم فعقدوا عليه الآمال، كيف لا  
وقد عرفوا فيه الصدق والصفات الطيبة، وصار محط الأنظار، ولكنه خيب  
آمالهم، وفاجأهم بنبوته، ودعوته إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، ونبذ كل  
ما عدا ذلك من الأصنام والأوثان. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا

(١) سورة الحجر، الآيات: ٨٠ - ٨٢.

أَبَشَرَ مِنَّا وَجِدًا نَبَّعُهُ؛ إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَسَعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَتْلَقِي الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَدَكُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ورأى صالح عليه السلام بثاقب نظره ما عليه قومه من انحراف عن جادة الصواب، واتجاه نحو الهاوية التي أودت بقوم هود عليه السلام فخاف عليهم، وكيف لا يخاف عليهم وهم قومه وأهله؟ فأراد أن يهديهم إلى سواء السبيل، فسار على منهج النبيين قبله: نوح وهود عليهما السلام فأطاعه فريق، وخالفه فريق أكبر، كان الشيطان قد استحوذ على عقولهم، فرفضوا الانقياد لرجل منهم، ولم يروا له فضلاً عليهم، بل كانوا أكثر منه مالاً وأعز نفراً، فقالوا: وكيف نطيع رجلاً مثلنا، يأكل ويشرب وينام؟ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

ولم يصدقوا أنه مرسل من قبل الله، فقد كانوا يعتقدون أن الأنبياء والرسل يجب أن يكونوا من الملائكة ونسوا أن (آدم) و(نوحاً) و(هوداً) عليهم السلام كانوا جميعهم بشراً ولم يكونوا ملائكة.

أحمد: حقاً يا أمي، لماذا لا يرسل الله الملائكة ليكونوا أنبياء؟

الأم: الملائكة يا بني - كما أخبرتكم سابقاً في قصة (خلق الملائكة) مخلوقات نورانية، تختلف في جنسها وطبيعتها خلقها عن الإنسان، وتستطيع أن تحتل من الشعائر الدينية ما لا يستطيعه البشر، وهذه حجة بيد أعداء الدين. فالملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تتعب ولا تشتهي، والرسول يجب أن يفعل كل هذا، يجب أن يكون إنساناً كباقي الناس ليتأسوا به، ويتعلموا منه كيف ينفذ أوامر ربه ويبتعد عن نواهيه، ولا يجدون حرجاً في

(١) سورة القمر، الآيات: ٢٣ - ٢٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٥٣، ١٥٤.

ذلك، فكيف يستطيع هو ولا يستطيعون هم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (٩٥) ﴿١﴾.

جميل: هذا صحيح.

الأم: ومع هذا لم يصدقوا.

جميل: فماذا فعل؟

الأم: بدأ صالح عليه السلام بدعوة قومه إلى عبادة الله وحده، وعدم الإشراف به، قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٢)، وراح يعدد لهم نعم الله عليهم. وكيف استخلفهم بعد عادٍ وسخر الأرض لهم، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْخَدُونَ مِنْ سُھُولِهَا فَضُورًا وَنَنْحِنُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا نَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٧٤) ﴿٣﴾، وطالبهم بمقابلة نعم الله بالشكر له وليس بالإنفساد والكفر، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٥٠) ﴿٤﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴿٥﴾، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٦١) ﴿٥﴾، أمرهم بطاعة الله تعالى وطاعته باعتباره رسولاً من الله إليهم، ونهاهم عن طاعة المسرفين الفاسدين الظالمين من كبرائهم وساداتهم، ذهب إليهم في مكان اجتماعهم وعرض عليهم دينه وطلب منهم أن يؤمنوا به، وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجراً جزاء إيمانهم به، فأجره على الله سبحانه وتعالى، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٦١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٤.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ١٥٠ - ١٥٢.

(٥) سورة هود، الآية: ٦١.

أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٤﴾<sup>(١)</sup>.

جميل : وماذا كان موقفهم؟

الأم: لقد رفضوا عرضه، وعللوا رفضهم وكفرهم به؛ لأنه لم يأتيهم بمعجزة، ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

خصَّ الله صالحاً ﷺ بآية بينة، وهذه الآية هي الناقة. كانت ناقة خاصة في خلقها وصفاتها، ليست كباقي «النياق» التي عندهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَمَنْ لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَأَصْطِرِّ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

تابعت الأم: قال صالح ﷺ: يا قوم، هذه ناقة الله آية لكم، ودليلٌ بينٌ على أن الله ﷻ بعثه لهم نبياً. وهي معجزة واضحة، قدمها لقومه<sup>(٤)</sup>، أعطاكم إياها فإياكم أن تؤذوها. وهي تحتاج للكثير من الماء، لهذا قسم الله الماء بينكم وبينها، تشربون أنتم وأنعامكم جميعاً يوماً، وتشرب هي وحدها يوماً كاملاً، وإياكم أن تمنعوها من الشرب، ولا تخافوا العطش؛ لأنكم ستشربون عوضاً عنه حليماً صافياً لذيذاً، ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾<sup>(٥)</sup>.

انعدت ألسنتهم جميعاً، فلم يدروا ما يقولون. فقد طلبوا آية ليؤمنوا

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٠٨.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٥٣، ١٥٤.

(٣) سورة القمر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٤) كانت ناقة خاصة في خلقها وصفاتها، ليست كباقي النياق التي عندهم، أما كيف خلقت؟ وكيفية خلقها فلم يذكر عنه شيئاً، ولا توجد أحاديث صحيحة توضع ذلك. انظر: الخالدي، صلاح، القصص القرآني، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، المجلد الأول، ص ٢٧٩.

(٥) سورة الشعراء، الآيتان: ١٥٥، ١٥٦.

بالله مع صالح، وعليهم أن يتحملوا عاقبة طلبهم، فمن يختار شيئاً عليه أن يتحمل نتائج اختياره مهما كانت، وبين لهم أنه على الحق، وأنهم على الباطل، وعنده اليقين الكامل، والقناعة التامة، وأن الله أعطاه الآية البيّنة على ذلك.

حذّر صالح ﷺ قومه من إيذاء الناقة أو مسّها بسوء، وربط بين عقر الناقة وبين العذاب، فإذا أقدموا على عقرها فإن العذاب واقع بهم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ رَبِّكُمْ هُدًى نَاقَةٌ إِنَّ اللَّهَ لَكُمُ آيَةٌ فذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ (٧٣) (١).

لقد حذّره رسول الله صالح ﷺ من إيذاء ناقة الله أو منعها من الشرب.

تابعت الأم: بدأ صالح ﷺ بدعوة قومه إلى عبادة الله وحده، وعدم الإشراف به، وقدم لهم نفسه على أنه رسول أمين لهم، وأمرهم بطاعته، وأخبرهم بعدم انتظاره الأجر منهم، ولفت أنظارهم إلى آيته البيّنة، وهي الناقة، ونهاهم عن إيذائها (٢).

جميل: وهل استسلم قوم صالح للواقع وأعلنوا إسلامهم؟

الأم: لا، لم يستجيبوا له بل أقدموا على عقر الناقة.

سامي: ماذا، ماذا حدث؟!

الأم: لقد خططوا لقتل سيدنا صالح ﷺ وعقر الناقة.

سامي: كيف؟

(١) سورة القمر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، المجلد الأول، ص ٢٨١.

الأم: اتفقوا مع أشقى إنسان منهم على أن يتولى بنفسه عقر الناقة، في حين يقوم الباقون بقتل صالح.

جميل: هل جميع قوم صالح قاموا بهذا الاتفاق؟

الأم: لا، طبعاً، صحيح أنهم كانوا كلهم سيئين، إلا أن هذه الجريمة لا يقدر على القيام بها إلا أكثرهم شراً، وقد نسب القرآن عقر الناقة لهم جميعاً؛ لأنهم كانوا موافقين عليه لذلك صاروا كلهم متحملين نتيجة ذلك.

سامي: ومن هو أكثرهم شراً؟ ومن هم الذين اشتركوا في الجريمة؟

الأم: كان في ثمود تسعة رهط من كبار المجرمين المتأمرين بالطغاة، وكانوا يقودون المفسدين الظالمين في مواجهة صالح عليه السلام وصد الناس عن دينه.

وتأمر هؤلاء المجرمون المتأمرين التسعة على حياة صالح عليه السلام واتفقوا على قتله، ثم قرروا إنكار أن يكون لهم علم بذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ لِمَنِ سَتَعَجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِئْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴿١﴾

لقد تأمر هؤلاء التسعة على قتل صالح عليه السلام مع أهل بيته، ثم ينكرون معرفتهم بالجاني إذا سألهم ولي الدم.

أحمد: وليّ الدم، ما معنى هذا؟

(١) سورة النمل، الآيات: ٤٥ - ٤٩.

الأم: هو القريب الذي يتولى التحقيق في الجريمة، كالابن أو الأخ أو النسيب، وقد فضح الله سبحانه وتعالى جريمتهم هذه ومكرهم الذي مكروه سرّاً فيما بينهم، فقال في كتابه الكريم: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فقد نجى الله نبيه ﷺ وأهله من هذه المكيدة.

سامي: وكيف خلّصه منهم؟

الأم: لم يذكر القرآن الكريم هذه الكيفية، وهذا ليس مهماً، المهم أن الله تعالى أفضل وأبطل كيد الكافرين.

جميل: وكيف قتلوا الناقة؟

الأم: ليس من السهل على أحد الإقدام على التخلص من معجزة إلهية، إلا إذا كان مجنوناً أو شبيهاً بالمجنون. لذا أقدم الشقي على إضاعة عقله بشرب الخمرة، ليقول فيما بعد لصالح ﷺ لقد كنت مخموراً ولا أدري شيئاً عما تقول.

أحمد: يشرب الخمرة؟ أليست حراماً؟

الأم: نعم هي حرامٌ بنصّ القرآن والسنة، ولكن من لا يؤمن بوجود الله هل يقول إنها حرامٌ؟ وهناك قول مأثور هو: (الخميرُ أمّ الرذائل). وهذا ما فعله قاتل الناقة، شرب الخمر حتى إذا فقد عقله قام بفعلته الشنيعة، ﴿فَنَادَوْا صَاحِبُهُمْ فَفَاطَى فَعَفَّرَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد وصف القرآن الكريم قاتل الناقة بأنه (أشقاها) أي أشقى إنسان، أخبرنا رسول الله ﷺ أن (أشقاها) كان عزيزاً مسؤولاً متنفذاً في ثمود. فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله ابن

(١) سورة النمل، الآية: ٥٠.

(٢) سورة القمر، الآية: ٢٩.

زمعة رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر الناقة، وذكر الذي عقرها فقال: «إِذْ أُبْعِثَ أَشَقَّهَا» (١)، انبعث لها رجل عارمٌ عزيز منيع في رهطه، مثل أبي زمعة» (٢).

أحمد: هل هذا يعني أن غضب الله سبحانه وتعالى على ثمود كلها كان بسبب مجرم واحد؟

الأم: طبعاً لا، إذ أن من قام بعملية عقر الناقة هو واحد، إلا أن ذلك كان بموافقة جميع الكافرين من ثمود، لذا حق العقاب عليهم كلهم.

جميل: وماذا فعل نبي الله؟

الأم: النبي صالح عليه السلام لم يكن يعلم ماذا يخططون، خرج إليهم ونهرهم على فعلتهم الشنيعة وأنذرهم بغضب الله وعذابه الذي سيقع عليهم بعد ثلاثة أيام، «فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَنَّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ» (٣)، وهذا ما كان.

سامي: طبعاً هذا العذاب لم يُصب النبي صالحاً والمؤمنين؟

الأم: أجل. هذا ما حدث بالفعل، «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجَيْنًا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» (٤) «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَسَلَوْنَ كَيْدَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ وَلَخَذْنَا مِنْهُمُ الْوَعْدَ لَمَّا ظَلَمُوا وَخُذْنَاهُمْ بِعُرْسِنَاتٍ أَوْسَطٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا لِيَذُرَ الْغُلَقَ وَمِن ثَمَّ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ لُحُوبًا لِيَلْبَسُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (٥).

جميل: وما معنى هشيم المحتظر؟

(١) سورة الشمس، الآية: ١٢.

(٢) صحيح البخاري (٣٣٧٧)، وصحيح مسلم (٢٨٥٥).

(٣) سورة هود، الآية: ٦٥.

(٤) سورة هود، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٥) سورة القمر، الآيتان: ٣٠، ٣١.

الأم: الهشيم هو المتكسر المفتت، وهنا تعني النبات اليابس المحطم الذي يضعه المزارع في الحظير. بمعنى أنهم صاروا كالتبين أو القش المتكسر. وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ (٧٨). وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْتَهُمُ صَِعْقَةً الْعَذَابِ أَهْلُونَ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧).

جميل: لِمَ أطلق الله ﷻ على العذاب الذي وقع بقوم ثمود عدة أسماء: فسماه: صيحة، ورجفة، وصاعقة؟

الأم: لقد انشقت الأرض أمام ثمود، وزلزلت، فسمعوا لأنشقاقها صوتاً قوياً عالياً، وصيحة مدوية، وهذه الصيحة التي سمعوها نتج عنها رجفة قوية، ثم صعقوا بعد الصيحة والرجفة، فسمي العذاب الواقع بهم صاعقة، فلقد صعق قوم ثمود بالصاعقة. وكانوا ينظرون وهم مصعقون غير قادرين على الحركة أو الهرب أو دفع ذلك العذاب عنهم. وهكذا خلت الأرض من ثمود، ولكن ظلت آثارهم شاهدة على عظمة حضارتهم، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْتَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥٢) وَأَبْجِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾ (٥٣). وقال أيضاً: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ (١٧) كَانَتْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِثَمُودَ﴾ (١٨).

لقد قام صالح ﷺ بواجبه نحو قوم ثمود، فوقف على أطلال قومه المعذبين، وشاهد جثثهم صرعى، كهشيم المحتظر، فعقّب على هذا قائلاً

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٣) سورة النمل، الآيات: ٥٠ - ٥٣.

(٤) سورة هود، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

لهم: ﴿وَقَالَ يَفَوِّرْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ (٧٩) (١).

أحمد: هم نالوا ما يستحقون بسبب كفرهم وطغيانهم، وهي نفسها نهاية كل قوم كافرين.

الجميع: اللهم اغفر لنا وأعف عنا وألطف بنا في ما جرت به المقادير.

قالت أم أحمد: انتهينا من القصة. أخبرني الآن يا أبا أحمد ماذا عرفت عن أختي، فبالي مشغول عليها جداً.

أبو أحمد: لا تخافي ولا تقلقي. هي بخير وصحة مع طفلتها.

أم أحمد: طفلتها، أي إنها ولدت أنثى؟

أبو أحمد: نعم.

تلاأت الدموع في عيني الأم وقالت: الحمد لله رب العالمين.

سامي: ولماذا تبكين؟ ألا تحبين البنات؟

الأم: لا، لا، ليس هذا، فالبنات نعمة كبيرة من الله، ولكنني أبكي فرحاً؛ لأن أختي قامت بخير، ليتني أنا أيضاً أنجبت بنتاً.

أبو أحمد: الله كريم، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (٤٩) (٢).

نام الجميع والفرح يغمرهم والابتسامة تملأ شفاههم بسبب المولودة الجديدة فقد صار هناك بنت في العائلة.



(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٩.

## نبي الله إبراهيم عليه السلام

استيقظ أفراد العائلة صباحاً، بعد أن عادوا للنوم عقب صلاة الفجر، فليس لديهم اليوم عمل يقومون به. لذا فضلوا العودة للنوم، حتى يستريحوا من التعب الذي أحسوا به أمس لدى زيارتهم لمدائن صالح عليه السلام لقد شعروا بثقل الأيام والدهور، عند رؤيتهم لآثار البيوت، التي ما تزال ظاهرة في الجبال، والتي نحتها قوم صالح، إظهاراً لقوتهم وحضارتهم وذوقهم الفني. فهم سكان سهول ومزارع، ولهم بيوتهم التي يسكنون فيها، ولكنهم لتكبرهم، وغرورهم نحتوا البيوت في الجبال لعلها تخلد لهم، لقد غرّتهم الحياة الدنيا، فاعتقدوا أنهم لن يموتوا؛ لأن الله سبحانه وتعالى منحهم بسطة في الأجسام وطولاً في الأعمار، وبدلاً من شكره وحمده وعبادته وحده كفروا به وعبدوا الأصنام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (١).

جميع أفراد العائلة استيقظوا بعد أن دخلت إليهم أشعة الشمس في الخيمة، وشعروا بها كما لم يشعروا بها من قبل، فهذه هي المرة الأولى التي يبيتون في خيمة - كما قالوا - كالكشافة. كانت رحلتهم للعمرة والعبادة والتمتع بما خلق الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليعمل ويكفّر

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

ويعمر الأرض ويصلحها. قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسَيْرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

بعد أن رتبوا الخيمة، ورفعوا ما كانوا ينامون عليه، ورتبوا ثياب النوم، ونشروها خارج الخيمة، أخذوا يتكلمون عن الخالة الوالدة وعن ابنتها، فهي البنت الوحيدة في الأسرة. وهم جميعاً ذكور، وليس لديهم أخت، هذه البنت هي التي ستكون أختهم التي لم تلدها أمهم.

كانوا جميعاً يتكلمون بحماسة وفرح ولا سيما الأم، فقد كانت الدموع تملأ عينيها. سألوها جميعاً:

لماذا تبكين يا أمي؟ هل أنت غاضبة؟ ألا تحبين البنات؟! لا، لا، ليس هذا، بل إنني فرحة جداً، وهذه دموع الفرح، ولكني أتمنى لو كان لي بنت؛ فالبنت رفيقة أمها كما تعلمون.

أسرعوا إليها يعانقونها ويقولون لها: ألا نحبك نحن؟ ألسنا رفاقك؟ ألا نساعدك في أعمالك؟ هل نغضبك؟ ألا نطيعك؟

الأم: أنا أحبكم جداً، ولا أحب أحداً مثلكم، ولكن جميل أن يكون معكم بنت.

قال الأب: الله كريم، ربما رزقنا الله بنتاً، لا تعترضني على حكم الله. أنسيت أن الله تعالى قال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۗ (٤٩) أَوْ يَزُوجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا ۗ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۗ (٥٠)﴾<sup>(٢)</sup>؟

الأم: صدق الله العظيم. استغفر الله، أنا لا أعترض ولكني أتمنى.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

قال الأب مقاطعاً: تقول أختك إنها تنتظر عودتنا حتى تعقّ (١) عن ابنتها.

الأم: إن شاء الله تعالى.

أحمد بدهشة: ماذا تقصد بعبارة (تعقّ عن ابنتها)؟

الأب: تعمل لها عقيقةً. والعقيقة هي شاة تذبح للمولود في يومه السابع عند حلق شعره.

أحمد: في يومه السابع؟ أي عندما يصبح عمره أسبوعاً؟ وكيف تنتظرنا؟ أم إننا سنلغي رحلتنا ونعود إلى البيت؟

الأب: لا تخافوا سنتابع ما بدأناه، وعندما نعود تذبح العقيقة. فالعقيقة ليست فقط في اليوم السابع، فهي قد تكون في اليوم الرابع عشر أو الحادي والعشرين، فالأمر ليس إلزاماً، بل هو استحباب.

أحمد: وهل عقتما عني وعن أخويّ؟

الأب: طبعاً، لقد عقتنا عن كل واحدٍ منكم بشاتين.

أحمد: شاتين؟! هذا يعني أن خالتي ستذبح شاتين لابنتها.

الأب: لا، بل شاةً واحدةً.

أحمد: لماذا؟

الأب: هذه وصية النبي محمد ﷺ: «فَعَقُّوا عَنِ الْغُلَامِ شَاتَيْنِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةً» (٢).

أحمد: أليس في هذا تمييز بين الصبيّ والبنت؟

(١) تعقّ: تذبح عقيقة، وهي شاة تذبح عن المولود حين يولد، فداءً عنه، فدى النبي إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل عليه السلام.

(٢) رواه البيهقي في السنن (٣٠٢/٩).

الأب: لا، ليس تمييزاً، ولكن لأن فرح الناس قد يكون بالصبي أكثر. البنت كانت مظلومةً في أيام الجاهلية وعند اليهود، فقد كان الجاهليون يتعاملون مع البنت بطريقة فظة فهم يئدونها، أي يدفنونها ليتخلصوا من العار الذي قد تجلبه عليهم.

سامي: وهل هذا معقول؟ يئدون البنات؟

الأم: أجل وقد ذكر الله تعالى في القرآن هذا الكلام بقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَزَّىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم أكملت كلامها: أو قد تنقلب حياتهم من السعادة إلى الحزن، وتسود وجوههم إذا بشروا بالأنثى، ولا يُهنئون أبا البنت، في حين أنهم كانوا يحتفلون بولادة الصبي، ويذبحون الذبائح ويقىمون الولائم. واليهود كانوا يعقون عن الولد ولا يعقون عن البنت، كما أخبرنا رسول الله ﷺ: «إن اليهود تعق عن الغلام ولا تعق عن الجارية»<sup>(٣)</sup>.

أحمد: ما أروع الإسلام رَحِبَ بالبنات وجعل لها عقيقة إظهاراً لحقها بالحياة!!

جميل: وهل العقيقة واجبة أم هي مستحبة؟

الأب: هي سنةٌ وليست واجبة قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مولودٍ مَرهُونٌ بعقيقته تُذبحُ عنه يومَ سابعه»<sup>(٤)</sup>، و(مرتهن) كما شرحها الإمام أحمد: مرتهن عن الشفاعة لوالديه<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٣) ابن ماجه (٣١٦٥) والبيهقي: (٣٠٢/٩).

(٤) تحفة المودود في أحكام المولود، ص ٤٨.

(٥) الإمام أحمد.

جميل: وما دام الإنسان مُرْتَهَنًا بعقيقته، فكيف تقول إنها غير واجبة؟!

الأب: العقيقة لم ترد بنص القرآن الكريم، والنبى - عليه الصلاة والسلام - لم يقل (عقوا). بصيغة الأمر التي تعني الوجوب، ولكن قال: «من ولد ولد فأحب أن يُسِكَ عنه فليُفعل»<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على الاستحباب.

حان وقت الظهر، واشتدّت حرارة الشمس، فالتجأوا إلى خيمتهم حتى لا تؤذيهم أشعة الشمس، فهي في هذا الوقت أشدّ ما تكون حرارة، لأنها تسقط على الأرض بشكل رأسيّ، ولن يجدوا ظلاً خارج الخيمة. طلبت الأم من أحمد أن يخرج إلى السيارة ليحضر منها ماءً للشرب والطهي.

جميل: هل ستطبخين؟ ألم نحضر معنا مأكولات جاهزة ومعلبة؟

الأم: بلى، ولكنني أفضل أن أغير مياهها، لأزيل منها آثار المواد الحافظة وطعم المعدن؛ لأنها قد تسبب الأمراض الخطيرة، وبعد ذلك أسخنها.

أحس الجميع بالأمان والسعادة، فأمهم مهتمّة جداً بصحتهم، ولن تسمح للأمراض أن تصل إليهم من خلال الطعام، ومهتمّة أيضاً - وبالتعاون مع أبيهم - بنموهم الاجتماعي، ويكفي أنهما فكرا بإحضارهم إلى هذا المكان وتأمين الحياة الكشافية التي يحبونها لهم من دون أن يطلبوا ذلك منهما.

أمضت العائلة يومها ذاك في الخيمة، وعند المساء خرجوا جميعاً ليتنعموا بمشاهدة جمال الصحراء في الليل، ومراقبة نجومه التي كثيراً ما ذكرها الشعراء وتغنوا بها.

(١) تحفة المودود في أحكام المولود، ص ٤٨.

ولكنهم لم يهملوا الصلاة، بحجة السفر أو التعب أو الحر الشديد، فقد كان صوت المؤذن يصل إليهم حيث يقيمون وكان الأبوان يذكران الأولاد بوجوب الصلاة.

الأب: هيا، ردّوا ما يقوله المؤذن.

أحمد: هذا ما نفعه دوماً.

الأم: حقاً، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»<sup>(١)</sup>. بعد انتهاء الأذان توضأوا للصلاة جماعة.

وقال الأب: سوف نصلي الآن الظهر والعصر جمعاً وقصراً.

أحمد: كيف هذا؟

الأب: نحن الآن على سفر، ويجوز لنا الجمع بين الظهر والعصر تقديماً وتأخيراً، وكذلك بين المغرب والعشاء.

أحمد: وكيف يكون هذا؟

الأب: ننوي الصلاة جمعاً وقصراً، فنصلي الفرض الأول ركعتين، ونسلم، ثم نصلي الفرض الثاني ركعتين أيضاً.

بعد الصلاة في جماعة لم يطيلوا السهر، بل قرأوا الفاتحة وآية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين، وذهبوا للنوم.

انطلقوا بسيارتهم بعد صلاة الفجر. متجهين نحو المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة قاصدين المسجد النبوي، حيث يلقون التحية على سيدنا محمد ﷺ، ويكسبون صلاة الظهر هناك. فالصلاة في المسجد النبوي لها خصوصيتها وفضلها كما قال سيدنا محمد ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في ما سواه إلا المسجد الحرام»<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٤).

(٢) البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٦).

أحمد: وهل زيارة النبي ﷺ شرط من شروط قبول الحج أو العمرة؟

الأب: لا، لكن هل من اللائق أن نقوم بعبادتنا من دون أن نقدم الشكر لمن كان السبب في هدايتنا وإخراجنا من الظلمات إلى النور، والذي عانى الكثير في سبيل إعزاز دين الله تعالى وحصولنا على رضى الله وغفرانه؟

ظلوا جالسين في المسجد النبوي الشريف حتى أقيمت صلاة العصر فأدوها وغادروا باتجاه منطقة تسمى (آبار علي)، حيث أوقف الأب السيارة وقال لهم: وصلنا إلى الميقات.

تعجب الأولاد لسماع هذه الكلمة ولم يفهموا معناها.

نظروا إليه مستفهمين: فقال: هنا يجب أن ترتدي ملابس الإحرام، وننوي العمرة.

سكتوا لأنهم لم يفهموا ماذا يجري في حين كانت الأم تفتح الحقائب وتخرج منها بعض الأقمشة البيضاء غير المخيطة، وتناولها للأب الذي كان يعلم أولاده كيف يرتدونها، فأعطى كل واحد منهم قطعتي قماش، وأمرهم أن يخلعوا جميع ملابسهم؛ لأنها مخيطة، ويجعلوا مكانها الأقمشة الجديدة، قسم يلفونه حول خصورهم، والآخر يتلفحون<sup>(١)</sup> به حول أكتافهم، بعد أن يكشفوا أحد الكتفين، فهكذا يجب أن يطوفوا حول الكعبة المشرفة.

سأل سامي: ولكن يا أبي لم فعلنا هذا؟

فأجاب الأب: هكذا نكون قد تخلينا عن كل زينة من زينة الدنيا، وأقبلنا على عبادتنا من دون خيلاء وفخر مثل جميع المسلمين، ففي هذا الموقف يتساوى الناس كباراً وصغاراً، أغنياء وفقراء.

---

(١) يتلفحون به: يتغطون به.

جميل: ولكن، لماذا لم تلبس أمي مثلنا؟

الأب: سؤال وجيه، فالنساء تختلف ملابسهن عن ملابس الرجال، فثيابهن ثياب عادية مخيطة، تغطي جميع الجسد ما عدا الكفين، وعليهن تغطية رؤوسهن ما عدا الوجوه، ولكن لا يجوز أن تكون هذه الملابس ملفتة للأنظار بزخرفتها وبهرجتها.

كان الأولاد فرحين جداً؛ لأنهم يتعلمون أشياء جديدة تختص بدينهم. وهنا تدخل الأب وقال: سندخل الآن مكة ملبين ونطوف حول الكعبة التي رفعها سيدنا إبراهيم بمساعدة ابنه إسماعيل عليه السلام، وجعلها الله قبلة للناس كافة.

بعد ذلك نَوَّوا العمرة، ودخلوا مكة وهم يقولون: (لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك).

ظل هذا الدعاء مع أدعية أخرى ملازمة لهم أثناء سيرهم في الطريق، وفي طوافهم حول الكعبة، وسعيهم بين الصفا والمروة سبعة أشواط، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد ذلك جاء رجل غير محرم فقص شعر الأب، وقص الأب شعر أبنائه، كما قصّ خصلة من شعر امرأته ثم خلعوا ثياب الإحرام، وهكذا انتهوا من أداء العمرة؛ لأن هذه هي أركانها.

بعد أن أنهوا عمرتهم ركبوا سيارتهم، وانطلقوا إلى مكان بعيد عن العمران خارج مكة، كي لا يزعجهم الضجيج، وليخلوا بأنفسهم ويتفكروا ويتأملوا بدائع صنع الله، لعل هذه الحياة تعيد الصفاء إلى أرواحهم، وتجدد العلاقة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى عن ضجة الناس، وتعطيهم ثقة أكبر بأنفسهم، تساعد على مواجهة الحياة بشكل أقوى. لكنهم هذه المرة ظلوا في السيارة؛ لأن النوم المباشر على الأرض في الخيمة أتعب أجسادهم، فهم غير معتادين عليه، والسيارة واسعة والله الحمد.

استلمت الأم هذه المرة دفعة الحديث بعد أن ظلت صامتةً لفترة لا بأس بها وراحت تروي لأبنائها قصة بناء الكعبة المشرفة:

اعلموا يا أولادي أن الكعبة المشرفة هي أول بيت للعبادة وضع على الأرض.

جميل مستغرباً: ولكن قلت يا أمي إن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الذي بنى بيت الله الحرام، فمتى بناه؟ وكيف؟ وهل بناه بمفرده؟ أم هناك من ساعده؟

الأم: هذا ما سأرويهِ لكم الليلة - إن شاء الله تعالى - فهذا أنسب مكانٍ نتحدث فيه عن هذا النبي الكريم. سكت الجميع مصغيين لما ستقوله أمهم.

ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام في العراق، بلاد ما بين النهرين، وهو من أولي العزم من الرسل، بعثه الله رسولاً إلى قومه في بلاد العراق، ولكن حظّه مع قومه لم يكن بأفضل من حظّ الأنبياء من قبله: نوح وهودٍ وصالح عليهم السلام.

استدركت الأم: لا أريد أن أذكر القصة من آخرها، إلا أنني أردت القول إن الأنبياء دوماً يواجهون المشكلات الصعبة مع كفار قومهم.

سامي: وهل كان سيدنا إبراهيم عليه السلام مسلماً منذ الولادة؟

الأم: نعم، فجميع البشر بالفطرة ولدوا مسلمين، ولكن الشياطين اجتالتهم، فغطت أعينهم عن التفكير بآيات الله، فكفروا بالله. هذا ما وجدته سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ كان أبوه وقومه كافرين يعبدون الأصنام وغيرها كالكوكب والنجوم والزعماء، كل شيء إلا الله المستحق للعبادة.

جميل: قلت إنهم كانوا يعبدون الزعماء؟

الأم: أجل، أي إنهم كانوا يخافونهم وينفذون أوامرهم ورغباتهم،

وعندما كبر سيدنا إبراهيم عليه السلام ورأى ما كان يعبد قومه هاله<sup>(١)</sup>، أن لا يعبدوا الله، وازداد تعجبه واستنكاره لعملهم هذا لما سألهم لماذا يعبدون هذه الأصنام والأوثان، فكان جوابهم الدائم متشابهاً، ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادَةً﴾ ٥٣ <sup>(٢)</sup>.

جميل: كم كان عمره حين دعا قومه؟

الأم: بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام دعوته باكراً، ولا نعرف عمره عند نبوته. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ ٥١ <sup>(٣)</sup>.

جميل: وهل الدين يكون بالوراثة والتقليد؟

لقد أخبرتنا أن الدين يكون بالنظر في مخلوقات الله والتعرف إلى الخالق.

سامي: أجل، صحيح لقد قلت لنا هذا في قصة ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ <sup>(٤)</sup>.

الأم: أحسنتما، لا يجوز أن تكون العبادة بطريقة عمياء، بل يجب اعتماد التأكد والتبصر. والإيمان المرتكز على المعرفة واليقين أفضل وأثبت في القلب من غيره. لقد أمرنا الله عز وجل بالنظر والتفكير في الكون والأنفس وفي الأوامر الإيمانية لمعرفة الدين الصحيح، وبعدها نعزم في أنفسنا التصديق بأركان الإيمان الستة مع التفاصيل إيمان خضوع وتسليم، وبعد الإيمان الصحيح الصادق والنابع عن إرادة جازمة يتم الدخول إلى الإسلام بإعلان لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله.

هذا الإعلان هو الانتماء إلى الأمة الربانية. وبعد الإيمان الصحيح

(١) هاله: أفزعه.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٥١.

الصادق، والاستماع للأوامر والنواهي، يكون إعلان الطاعة تعبيراً عن استعداد النفس لتنفيذ أوامر الله برضى وصدق نية.

ولم يعترض أحد من الأولاد أو يتدخل في الكلام بانتظار حديث الأم.

تابعت الأم كلامها: قال لهم سيدنا إبراهيم بعد رؤيتهم يعبدون الأصنام ﷺ (ولكن هذه الحجارة لا تسمع ولا تتكلم، ولا تنفع ولا تضر، هي مجرد حجارة تصنعونها بأيديكم وتشكلونها بحسب أهوائكم، أنتم الذين توجدونها، ولولاكم لما كانت، أنتم تقدرون عليها، أما هي فلا تقدر على شيء) ولكن دون جدوى. إلا أنه لم ييأس من هدايتهم، فكلمهم عن الله الواحد الأحد، خالق كل شيء ورازق جميع المخلوقات، القوي القادر المستحق للعبادة وحده. فابتدأ بأبيه، ثم عاد إلى قومه، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾<sup>(١)</sup>.

فقد استنكر سيدنا إبراهيم ﷺ إصرار أبيه على الكفر، واستمر يدعو إلى الإيمان، وكان خطابه له بمنتهى التحبب والإشفاق والهدوء والبر، والدليل على ذلك قوله له: ﴿يَا أَبَتِ﴾ أربع مرات. وراح يبين له ماهية الأصنام، وأنها جمادات لم تصل إلى المستوى البشري الإنساني الحي، وأنها لا تسمع عندما يدعوها أو يطلب منها أو يستغيث بها، وأنها لا ترى ولا تبصر، ولا تطلع على أحوال أحد ولا تعرف حاجته، فهي لا تنفع ولا تساعد ولا تغني شيئاً.

(١) سورة مريم، الآيات: ٤١ - ٤٥.

وبعد أن بيّن له عدم كون الأصنام آلهة، وأن سبب عبادته لغير الله تعالى هو الجهل، وبما أنه إنما عبدها بسبب جهله بوجود الله تعالى الخالق، فلا بدّ له أن يبحث عن صاحب العلم ليعلمه وهو - أي إبراهيم - قد وهبه الله هذا العلم، لذا قال له: ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ (١).

سامي: جاهل؟ أي غير متعلم؟

الأم: الجاهل هو الذي لا يعرف الحق، وأبوه جاهل بأمور الدين؛ لأنه لم يعرف الحق، ولذلك عبد غير الله، وقد حذّره من عبادة الشيطان، وعبادة الأصنام هي عبادة الشيطان.

جميل: إذاً، من يعبد الله فهو عالم ومن يعبد الشيطان فهو جاهل.

الأم: ربّت الأم على كتف ابنها فرحة بكلامه وأضافت قائلة: عباد الرحمن، على علم وهدى، يتبعون الحق، ويسيرون على صراط سوي مستقيم، وهم أولياء الله، وإبراهيم عليه السلام يمثل هذا الطريق.

وعباد الشيطان، على جهل وضلال، يتبعون الباطل، وطريقهم أعوج، وهم أولياء الشيطان وهم خاسرون وهالكون؛ لأن الشيطان لا ينصرهم ولا يدفع عنهم عذاب الله، ووالد إبراهيم يمثل هذا الطريق.

ولذلك يريد إبراهيم عليه السلام من أبيه أن يتخلّى عن طريقه الأعوج، ويسير في الطريق الصحيح.

الأب: اسمحي لي يا عزيزتي أن أعلّق على كلامك هذا وأقول إن أسلوب إبراهيم عليه السلام كان أسلوب الحوار والهدوء والحكمة والحلم، منه نكتشف حرصه على أبيه وإشفاقه واهتمامه به.

جميل: وبماذا أجاب الأب؟

(١) سورة مريم، الآية: ٤٣.

الأم: غضب من ابنه لتجربته على هذا الكلام فقال: ﴿رَأَيْبٌ أَنْتَ عَنْ  
ءَالِهَتِي يَتَابِرْهِمْ لِيْن لَمْ تَنْتَه لَأَرْحَمَنَّكَ وَأَهْجُرِنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦) (١).

جميل: طرده أبوه؟

الأم: نعم طرده؛ لأنه لا يريد سماع المزيد من كلامه، فتركه  
إبراهيم عليه السلام وانصرف قائلاً: ﴿سَلَّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رِيبًا إِنَّهُ كَانَ بِي  
حَفِيًّا﴾ (٤٧) (٢).

سامي مستغرباً: أيكفر أبوه بالله ويطرده غضباً لآلهته، ثم يستغفر له؟

تدخل الأب في الكلام: وهل كلما غضب الأب من ابنه ونهره،  
يحق للولد أن يهجر أباه ويقاطعه؟! وأين البر بالوالدين؟

أحمد: وهل يجب على الولد أن يبر أبويه إن كانا كافرين؟

الأب: نعم، إنهما أبواه مهما كانا، وعلى كل حال، فقد أمرنا الله  
بأن نبرهما دوماً، ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا  
تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ  
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥) (٣). اسمعوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت  
أبي بكر الصديق رضي الله عنها عندما سألته إن كانت تسمح لأمها الكافرة بزيارتها.

قالت أسماء رضي الله عنها: (قَدِمْتُ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتْهُمْ  
إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ، فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: (إِنْ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ  
أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكَ» (٤).

(١) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٧.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٤) صحيح البخاري (٥٩٧٩) و(٢٦٢٠)، وفيه زيادة: قالت: قدمت علي أمي وهي  
مشركة في عهد رسول الله فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وهي راغبة: أفأصل أمي؟  
قال: «نعم: صلي أمك».

استعادت الأم دقة الحديث قائلة: ثم إن هذا الاستغفار كان قبل أن يعرف ويتأكد من أن أباه عدو الله، فعندما تبين له ذلك تبرأ منه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (١).

فجأة وصل إلى أسماعهم صوت تحية الإسلام (السلام عليكم)!!

تعجبوا إذ سمعوا هذا الصوت، فهم يعتقدون أنهم بعيدون عن الناس. فنظر الأب خارج السيارة فشاهد رجلاً يقف مبتعداً عنهم فردّ عليه التحية بأحسن منها كما أمر الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٢).

أبو أحمد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. تفضل. اقترب الرجل من السيارة، من دون أن ينظر داخلها وقال: اعتقدت أنا وأسرتي أننا لوحدنا هنا، ولكن فوجئنا بمقدمكم وبقائكم، فقلنا (جيران)، وأحببنا أن نتعرف بكم. فهل تسمحون؟

أبو أحمد: أنت وأسرتك؟

الرجل: نعم، زوجتي وأولادي. لقد تعودنا بين الحين والآخر أن نخيم هنا لنظل على علاقة بالله تعالى بعيداً عن الناس، ونغسل قلوبنا من أدران (٣) المدينة لتصفو علاقتنا بالله وتحسن. ضحك الأولاد اغتباطاً وقالوا: ما نفعل نحن!

ابتسم أبو أحمد مرحباً وقال: أهلاً وسهلاً، يشرفنا التعرف بكم وطلب من زوجته وأولاده بعد أن ذهب الرجل لإحضار أسرته، أن يخرجوا من السيارة ويفرشوا الحصير ليتمكّنوا من الجلوس.

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٣) أدران: أوساخ.

أحس الجميع بالسعادة، فجميلٌ أن يتعرف الإنسان إلى أناس جدِّ غير الذين يعرفهم. وقد حثنا رسولنا الكريم ﷺ على إكرام الضيف فقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»<sup>(١)</sup>.

أسرعت الأم بصنع الشاي وتقديم بعض أنواع البسكويت إكراماً للضيوف.

وكم كانت سعادة الأولاد بالغة للتعرف على أولاد من مثل أعمارهم في مثل ذلك المكان، وكما يقول المثل: (كل جيل مع جيله يلعب). أخذ أبو أحمد الضيف وانتحى به جانباً فاسحاً المجال لزوجته وضيفتها ولأولاد التكلم بحرية وراحة وبعد الانتهاء من التعرف على الضيوف غير المتوقعين - آل أبي نديم - قال سامي: ألا تكملين القصة يا أمي؟

الأم: بلى، إذا أحب ضيوفنا ذلك.

أم نديم: ولم لا؟ فالحديث في السهر يحلو ويمتع.

جميل: وخاصة إذا كان عن نبي الله إبراهيم ﷺ.

الأم: أتعلمون أن النبي إبراهيم ﷺ كان يلقب بد(أبي الضيفان)<sup>(٢)</sup>؟ فقد كان يحب الضيوف كثيراً، بل هو أول من أضاف الضيف، كما أخبر الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَضَافَ الضَّيْفَ إِبْرَاهِيمُ»<sup>(٣)</sup>.

تحمّس الضيوف للاستماع، فبدأت أم أحمد بتلخيص سريع لما كانت

(١) البخاري (٦٠١٨)، (٦٠١٩)، (٦١٣٥)، (٦١٣٨)، (٦٤٧٥).

(٢) الضيفان: جمع ضيف.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوائل برقم ١٠ وإسناده حسن ورجاله كلهم ثقات معروفون.

ترويه، ثم تابعت: إذاً، تبرأ سيدنا إبراهيم عليه السلام من أبيه عندما تبين له أنه عدو لله، إذ لا يجوز أن يستغفر المؤمن لكافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

حزن إبراهيم عليه السلام حزناً شديداً لتمسك قومه بعبادة الأصنام والنجوم، ففكر في الطريقة المثلى لإقناعهم بعبادة الله والكفر بالهتهم فلم يجد إلا الحوار ومحاولة الإقناع بالدليل والمشاهدة فراح يذكرهم بالله خالق كل شيء، ويطلب منهم النظر في كل ما هو أمامهم من مخلوقات: بشر، حيوانات، كواكب، نجوم، لا يمكنهم فعل أي شيء إلا بإذن الله، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٧٤)</sup> وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين<sup>(٧٥)</sup> فلما جن عليه الليل رآ كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين<sup>(٧٦)</sup> فلما رآ القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدي ربي لأكونن من الفقور الضالين<sup>(٧٧)</sup> فلما رآ الشمس بازغاً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يلقونني برىء مما تشركون<sup>(٧٨)</sup> إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين<sup>(٧٩)</sup><sup>(٢)</sup>.

لقد حاول سيدنا إبراهيم في هذه الآيات إغراء قومه على التفكر في آيات الله تعالى والمقارنة بين ما يعبدون وبين الذي يعبده إبراهيم عليه السلام ليتوصلوا إلى أن الله تعالى هو الذي تجب عبادته؛ لأنه هو خالق الوجود.

أحمد: هذه طريقة جيدة للإقناع، طريقة الحوار والإثبات بالدليل القاطع.

الأم: ومع هذا لم يؤمن به أحد. ولكن هل جعله هذا الجحود يترك دعوته ويتراجع عن كلامه؟ لا، إطلاقاً: بل ذهب إلى الهيكل حيث

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٧٤ - ٧٩.

الأصنام، وحيث كان المؤمنون بها يزينونها، ويهتمون بها للاحتفال بعيد لهم، وهذه أفضل مناسبة ليحاورهم النبي ويجادلهم، فغضب وقال: أَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ؟

فصاروا يخوفونه من غضب الآلهة فقال: ﴿وَحَلَّجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجَوْنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾<sup>(١)</sup>، ثم أقسم لهم أنه سيكيد أصنامهم، ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

ولما خرجوا إلى عيدهم ذهب هو إلى الهيكل فوجده مليئاً بالأطعمة التي وضعها الناس للآلهة لتباركها.

جميل باستغراب: ما هذا السخف؟! طعامٌ للأصنام!! كيف يأكلون؟

الأم: وهذا ما قاله نبي الله إبراهيم عليه السلام ولكن بطريقةٍ ساخرةٍ، لقد ذهب إلى الأصنام وصار يكلمها ويدعوها للأكل، ﴿فَرَأَى إِلَٰهَهُمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نُنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

جميل: باليمين، أي بيده اليمنى! ولكن، لماذا قال اليمين؟

الأم: لأنه يستحب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم. والله سبحانه وتعالى مدح أصحاب اليمين، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَفْرَاءُ أَوْ كَتَبَتْهُ الْيَمِينُ ﴿١٦﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٧٧﴾﴾ في سِدْرِ مَحْضُودٍ ﴿٢٨﴾

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٠، ٨١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: ٥٧.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ٩١ - ٩٣.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ١٩.

وَطَلِحَ مَنُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظَلَّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهَمَ كَثِيرًا ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةَ  
وَلَا مَمْنُوعَةَ ﴿٣٣﴾ وَفَرَّشَ مَرْفُوعَةَ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَجْنَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا  
أَثَرًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ (١).

استأنفت الأم بعد أن أحتست قليلاً من كوب الشاي: إذا هجم سيدنا إبراهيم عليه السلام على التماثيل وأوسعها تحطيماً وتكسيراً وأبقى الصنم الكبير بدون تحطيم، وخرج.

عاد الناس من عيدهم مساءً مبتهجين وتوجهوا مباشرةً إلى الهيكل ليأكلوا الطعام الذي باركته الآلهة فوجدوا الكارثة بانتظارهم، فصرخوا احتجاجاً وحرناً وقالوا: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ (٢). فأجاب الذين سمعوا إبراهيم يتوعد بالانتقام، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ (٣)، فأحضره وسألوه إن كان هو فعل هذا، ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾ (٤). فأجابهم قائلاً: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبْرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ (٥).

سكتت الأم قليلاً ثم عقبت بقولها: في الحقيقة هذا ما كان يتمناه سيدنا إبراهيم عليه السلام وهذه أمنية جميع الأنبياء، أن يجتمع الناس في مكان واحد يكلمهم ويدعوهم أن يروا ويسمعوا كل شيء، فيحاورهم ويحاججهم، ويثبت لهم خطأهم، ليتأكدوا من صدق رسالته، وأن آلهتهم مزيفة ضعيفة عاجزة أن تدفع عن نفسها المكاره.

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ - ٤١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٠، ٦١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٦٢.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

جميل: لدي سؤال أعتقد أنه مهم. لقد قلت عن سيدنا إبراهيم إنه فتى، فما معنى هذه الكلمة؟

ردت الأم وقد ظهر عليها علامات الإعجاب بسؤال ولدها: (سؤال وجيه يا بني، أرادوا بـ(الفتى) التحقير والتقليل من شأن إبراهيم عليه السلام فوصفوه بأنه فتى طائش مندفع متهور وليس برجل كبير ناضج واع متعقل. وهذا انتقاص من حق إبراهيم عليه السلام).

سامي: تقول الآية: ﴿سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُهُمْ يُقَالُ لَهُٗ ۖ إِبْرَاهِيمُ ﴿١٦﴾﴾، ألم يكونوا يعرفونه من قبل؟

الأم: بالطبع، فقد كان ملء السمع والبصر، وكم سمعوا كلامه، وعرفوا قصته ودعوته، ولكنهم أرادوا - كما قلت سابقاً - النيل من شأنه وتحقيره وازدراءه.

أم نديم: ما شاء الله، لطالما قرأت هذه الآية ولم أتوقف عليها أو أفكر فيها، فبارك الله بكم من عائلة ملتزمة واعية، ليتك تخبريننا ماذا حصل بعد ذلك؟

الأم: بارك الله تعالى بكم.

أحضروا إبراهيم عليه السلام وبدأوا بسؤالهم له ونقاشهم معه، فناقشهم بموضوعية وعقلانية وبمنطقية وإقناع، لكنهم ما كانوا يريدون الاقتناع، لقد سألوه إن كان هو من حطّم الأصنام، فردّ عليهم قائلاً: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٧﴾﴾.

سامي مقاطعاً أمه: ولكن الأصنام، لا تتكلم أليس كذلك؟

الأم: بالطبع يا ولدي، وهو يعرف تماماً هذا، وهذا ما أراد أن يصل إليه عندما ترك الصنم، الكبير دون تحطيم، لقد أراد إجبارهم على التفكير في هذه الحقيقة ليعلموا سخف تفكيرهم. لقد لمس إبراهيم عليه السلام

بكلامه هذا قلوبهم لمسةً سريعةً، ونجح في إقامة الحجّة عليهم فقد رجعوا إلى أنفسهم فلاموها وأعترفوا بظلمهم وخطئهم قال تعالى:

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤) (١).

لكنهم سرعان ما عادوا إلى غيهم وإلى شياطينهم كما قال تعالى:

﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ (٦٥) (٢).

أحمد: إذا هم يعلمون أنها لا تنطق.. فكيف يعبدونها؟

الأم: هذا ما حاول إبراهيم عليه السلام إظهاره لهم حين قال: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) (٣).

أم نديم: سبحان الله، كم نتعلم دروساً من قصة إبراهيم عليه السلام فهو داعيةً ناجحٌ، ومحاوّر موفّق، كما أن خطواته مدروسة وهادفة. أنظروا كيف أرادوا محاكمته فحاكمهم، وارادوا إضعافه وإذلاله فأضعفهم وأذلهم، وهل هناك أكثر إذلالاً وتحقيراً من أعترافهم أنهم يعبدون أصناماً لا تتكلم ولا تسمع ولا تغني شيئاً. من يقرأ الآيات القرآنية التي تذكر المحاورّة بين النبي إبراهيم عليه السلام وبين قومه يتخيّل أنه يجلس معهم يشاهد ويسمع ما يدور.

أم أحمد: هذا صحيح، ففهم الآيات ليس صعباً، يكفي أن نقرأها من القرآن فقط، دون شرح ودون تفسير، حتى نرى أننا نفهم فنسبح الله، ونوحده.

سامي: وماذا حدث بعد ذلك؟

الأم: لم يجد الكافرون ما يردّون به كلام النبي إلا أن يقولوا: هكذا

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٦، ٦٧.

وجدنا آباءنا يفعلون وهذا ما سبقنا عليه ولن نترك عبادة آلهتنا، إلا أن إبراهيم قال: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾<sup>(١)</sup>.

إلا أن الشيطان أعمى الكافرين وأصمهم وبدل أن يستسلموا للحق، ويتبعوا الهدى، ويتخلوا عن الباطل، أصدر القوم الكافرون الظالمون على إبراهيم عليه السلام حكمهم الجائر بحرقه بالنار قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

سامي: ماذا؟ وهل حرقوه؟ هل مات سيدنا إبراهيم احتراقاً؟ وكثير اللغط بين الأولاد المستنكرين.

أم نديم: انتظروا لنستمع ونفهم، ولا تخافوا، فالله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن عباده الصالحين، ولا يسمح للكافرين بالانتصار على المؤمنين.

سكت الأولاد بترقب لما سيجري للنبي الكريم.

أم أحمد: كما قالت أم نديم، الله وَعَلَيْكَ لا ينصر المجرمين على المؤمنين. فقد حدث شيء عظيم أذهل الجميع وجعلهم حيارى!! ابتسم الجميع، وتابعت الأم:

فقد كاد سيدنا إبراهيم ينجح في جعل الناس يؤمنون بدعوته، ويعبدون الواحد الأحد، إذ لم يكن غير سيدنا إبراهيم عليه السلام يؤمن بالله الواحد، هكذا هم أصحاب الباطل الظالمون المجرمون دائماً. حشد الملاء

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٨٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٨.

من القوم الناس ضد إبراهيم عليه السلام وقالوا حرقوه بالنار، لأنه حطم الأصنام. ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ (١).

أم نديم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (٢).

هذا هو تفكير الخاسر. فعندما يجد الظالم أن جميع حيله ومكائده تبوء بالفشل، يغضب سريعاً ويلجأ إلى الانتقام والتخلص من الراجح. لهذا نهانا سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - عن الغضب فقال: «لا تغضب» (٣).

كان الجميع ساكتين وكأن على رؤوسهم الطير.

فقالت أم أحمد: أسرع الناس يجمعون الحطب من كل مكان. جميع الناس - كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء - كانوا في عمل دؤوب في جمع الحطب وتحضير المكان الذي سيتم فيه الحرق، وذلك تقرباً من آلهتهم، وانتقاماً لها من إبراهيم. وبعد ذلك أضرموا فيه النار وتأججت والتهبت وعلاها شرر عظيم لم ير مثله قط (٤)، ثم قذف إبراهيم فيها.

صرخ الأولاد صرخة رُعب: رموه في النار!؟

الضيف الابن: وكيف قلتم إن الله سينخلص نبيه!؟

ابتسمت الأم وقالت: وهل تظنون أن الله لا يستطيع تخليصه وهو داخل النار؟

سامي: كيف، والنار سوف تحرقه؟

(١) سورة الصافات، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٣) صحيح البخاري (٦١١٦).

(٤) قط: ظرف زمان للماضي.

الأم: أليس الله تعالى هو خالق النار؟

سامي: بلى، هو خالق كل شيء.

الأم: ألا يستطيع منعها من الإحراق؟ النار لا تحرق إلا بحول الله وقوته وقدرته، فقد توجد النار ولا يحصل الإحراق، إما معجزةً لنبي<sup>(١)</sup> أو كرامة لولي<sup>(٢)</sup>، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

واستأنفت الأم الكلام، استمعوا وأنصتوا ولا تتعجلوا النتيجة. فهذا الموقف هو أعظم دليل على صدق إبراهيم عليه السلام في أن الله وَعَلَىٰ هو خالق كل شيء.

ولما ألقوه في النار قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٢) <sup>(٣)</sup> عند ذلك أمر الله النار بعدم إحراق إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٦٩) <sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس وأبو العالية: لولا أن الله قال: ﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٦٩) لأذى إبراهيم بردها<sup>(٥)</sup>. بل كان بردها منعشاً ساراً لطيفاً، ومن الله عليه بفضل، وفتح له من رحمته، وحوّل الضيق والكره إلى فرج وسعادة، حين حوّل النار الحارقة إلى بردٍ وسلامٍ.

قال الجميع: ربنا لك الحمد والشكر.

أحمد: ولكن ما الحكمة من سماح الله للكافرين بإدخال إبراهيم النار، ما دام سيأمرها بعدم الإحراق؟ ألم يكن السماح للملائكة بتخليصه يبعث الاطمئنان في قلب إبراهيم؟ أو كان من الممكن أن يخفيه؟

(١) المعجزة: أمر خارق للعادة، ممكن عقلاً، بحرية الله على يد نبي أو رسول.

(٢) الكرامة: أمر خارق للعادة، ممكن عقلاً يجربه الله على يد الصالحين.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

(٥) عن ابن كثير، قصص الأنبياء.

الأم: لقد أوقد قوم إبراهيم النار ليحرقوه أمام آلهتهم، وجاؤوا بالحطب فأوقدوا النار العظيمة، وكان كل شيء معداً لتمجيد آلهة غير الله سبحانه وتعالى ولكن لو حدث ما تقولون واختفى إبراهيم لقالوا: لو قبضنا على إبراهيم لأحرقناه، وعندئذ ستظل قوة الآلهة المزيفة مسيطرة على عقولهم، وأنها تنفع من يعبدها، وتضر من يؤذيها.

وكان من الممكن أن يطفى الله النار بسبب أرضي، كأن ينزل الأمطار فتتنطفئ النار، ولو حدث هذا لقالوا: إن آلهتنا قادرة على أن تحرق إبراهيم، ولكن السماء أمطرت، ولو أن السماء لم تمطر لانتقمت آلهتنا منه بالحرق. والله سبحانه وتعالى كان مع إبراهيم عليه السلام حينما قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٢)، فهو في قمة الإيمان واليقين والتوكل والتوحيد، وهذا هو الإيمان بالله، وهذه هي العقيدة الصحيحة، العقيدة التي تؤثر في حياة صاحبها، فعلى كل إنسان وداعية إلى الله أن يواجه قوى الباطل والظلم، أن يقتدي بإبراهيم عليه السلام في ذلك، ويخلص توكله على الله، واستسلامه له، ويقينه به، وتفويض أمره كله إليه، وأن يعيش دائماً معاني وحقائق وآثار ونتائج قوله، ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٢) كان الله مع إبراهيم عليه السلام فألقى في قلوب الدواب والحيوانات الشفقة على إبراهيم عليه السلام حين خلت قلوب البشر الظالمين منها، وحاولت هذه الدواب إطفاء النار، إلا الوزغ الذي كان ينفخ عليها ليزيدها اشتعالاً!!

فعن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم لما ألقى في النار، لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت النار عنه، غير الوزغ كانت تنفخ عليه»<sup>(١)</sup>.

أم نديم: ولم يؤمنوا بالله!!

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: (٣٢٣١) وأحمد في المسند (٦/٨٣). الوزغ دابة ممسوخة، تسمى باسم (سام أبرص). والبخاري برقم (٣٣٠٧). ومسلم برقم (٢٢٣٧).

أم أحمد: هذا صحيح فمع كل ما جرى رفض الكفار قبول دعوته، وتمسكوا بالهتهم.

بعد هذه الحادثة أرسل الملك الظالم الذي كان يحكم في ذلك الوقت بطلب إبراهيم عليه السلام ليجادله في عقيدته لعله يغير رأيه ويعبده هو. فقد كان يدعي أنه رب العالمين. فذهب إليه النبي إبراهيم عليه السلام وكلمه، بما كان يدعو قومه من قبل. ولكن الملك أنكر وجود الله وادّعى أنه هو الرب.

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الملك: أنا أحيي وأميت. فأتي برجلين حكيم عليهما بالإعدام فأعفو عن أحدهما فأكون قد أحييته، وأقتل الآخر فأكون قد أمته.

ضحك الأولاد استهزاءً بهذا الكلام. وتابعت الأم: فقال له إبراهيم عليه السلام: ﴿فَاتَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

نديم: وماذا فعل الملك عند سماعه كلام إبراهيم عليه السلام؟

الأم: كما قال تعالى: فُهِتَ الَّذِي كَفَرَ.

سامي: وماذا فعل نبي الله إبراهيم بعد ذلك؟

الأم: أمره الله بالانتقال إلى بلد آخر ليقوم بالدعوة فنفذ أمر الله وهاجر، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

سامي: وإلى أين كانت هجرته؟

الأم: إلى بلاد الشام، كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستكون هجرة بعد هجرة، فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧١.

الأرض شرارُ أهلها تَلْفَظُهُمْ أَرْضُهُمْ، تَقْدِرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ القردة والخنازير»<sup>(١)</sup>.

لأن مهاجر إبراهيم عليه السلام لها منزلة عظيمة عند الله، منذ أيام إبراهيم عليه السلام فيها أسس الإيمان، فَبَقِيَتْ أَرْضُ الإِيمَانِ والإسلام حتى قيام الساعة. وقد حثَّ رسولنا الكريم - عليه أفضل الصلاة والتسليم - المسلمين على الهجرة إلى بلاد الشام المباركة المقدسة، والبقاء فيها بنية الرباط والجهاد.

سكتت الأم بعد هذا الكلام فقال أحمد:

هل انتهت القصة؟

الأم: لا، ما زال هناك الكثير. فسيدينا إبراهيم عليه السلام واجه الكثير من الحوادث والعقبات في سبيل رسالته. ولكن اسمحو لي بترك ما تبقى إلى الغد إن شاء الله تعالى. ولكن لا نغفل عن ما دعانا الله إليه.

سامي: وبماذا دعانا الله عز وجل؟

الأم: دعانا الله عز وجل الاقتداء بإبراهيم عليه السلام وأتباعه المؤمنين في براءتهم ومفاصلتهم لقومهم الكافرين. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦١﴾﴾<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه أبو داود (٢٤٨٢) وأحمد (١٩٩/٢، ٢٠٩) ورجاله رجال الصحيح.

(٢) سورة الممتحنة، الآيات: ٤ - ٦.

## نبي الله إبراهيم عليه السلام (٢)

«أعوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» هذا الدعاء هو الذي اعتادت أسرة أبي أحمد أن تُردده عند الذهابِ إلى النَّومِ - كما أوصى سيّدنا مُحَمَّدٌ عليه عندما شكَا لَهُ رَجُلٌ مِنْ لَدَعَةِ عَقْرَبٍ مَسَاءً، فقال: «أما لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أعوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لم يضرَّكَ»<sup>(١)</sup>.

اسْتَيْقَظَ الْأَوْلَادُ بَاكِراً فَسَمِعُوا أَبَوَيْهِمْ يَقُولَانِ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»<sup>(٢)</sup>.

أَلْقُوا تَحِيَّةَ الصَّبَاحِ وَالْإِبْتِسَامَةَ الْهَادِئَةَ السَّعِيدَةَ عَلَى وَجُوهِهِمْ ثُمَّ قَالَ أحمد: ما رأيكم؟

الجميع: في ماذا؟

أحمد: العمرة!

جميل: آه! - يا سلام! - لقد كانت جميلة جداً! أحببتها كثيراً.

سامي: أجل، أجل، أحببت كثيراً السَّعيَ بَيْنَ الصِّفَا والمَرْوَةِ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٧٠٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٥٤/٢، والترمذي في الجامع (٣٣٩١).

أحمد: لا أقصدُ هذا!!

الجميع: ماذا تَقْصِدُ إذا؟

أحمد: أَلَمْ يَقُلْ أَبِي إِنَّ الْمُسْلِمَ يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِالْعُمْرَةِ فِي أَيِّ سَاعَةٍ شَاءَ، طَوَالَ الْعَامِ؟

الأولاد: أجلٌ - هذا صحيح.

أحمد: لِمَ لَا نَعْتَمِرُ مَرَّةً ثَانِيَةً مَا دُمْنَا موجودين هنا؟

الأب: العُمْرَةُ مَرَّةً ثَانِيَةً تَحْتَاجُ إِلَى زِيَارَةِ اللَّمِيقَاتِ (آبَارِ عَلِيٍّ) لِلإِحْرَامِ مِنْ جَدِيدٍ وَنَحْنُ وَقْتُنَا مَحْدُودٌ فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُومَ بِعُمْرَةٍ ثَانِيَةٍ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْقَصِيرَةِ.

الأم: مَا رَأَيْكُمْ بِالطَّوَافِ مَرَّةً أُخْرَى، تَحِيَّةً لِلْمَسْجِدِ قَبْلَ الْعُودَةِ إِلَى بِلَادِنَا؟

الأولاد: فِكْرَةٌ رَائِعَةٌ؟ فَلْنَفِذْهَا.

بعد مضي ساعة أَنهَوْا فِيهَا إِعَادَةَ أَغْرَاضِهِمْ إِلَى السَّيَّارَةِ، فَانْطَلَقُوا بِهَمَّةٍ وَنَشَاطٍ.

وَمَحَبَّةٍ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ، وَهُمْ يَحْسُونَ وَكَأَنَّهُ طَوَافُ الْوُدَاعِ لِهَذَا الْمَكَانِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ.

سامي: وَلَكِنْ مَا الْحِكْمَةُ مِنَ الْعَدَدِ (سَبْعَةٍ) فِي الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ يَا أَبِي؟ لِمَ لَا يَكُونُ (خَمْسَةً) أَوْ (ثَلَاثَةً) أَوْ حَتَّى (وَاحِدًا).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ ٢٧٠٩.

(٢) الْبُخَارِيُّ - ٢ - كِتَابُ الْإِيمَانِ - بَابُ ٤٢ - مَا جَاءَ فِي الْأَعْمَالِ بِالنِّيَّةِ وَالْحَسْبَةِ وَلِكُلِّ امْرَأٍ مَا نَوَى - حَدِيثٌ رَقْمُ ٥٤ - ص ٢٤.

- ضحك الأبوانِ افتخاراً بذكاءِ أولادِهِما وقالا :

سُنَجِيبُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ عِنْدَمَا نَرُوِي قِصَّةَ سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

- إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

سامي : وماذا سنفعلُ الآن؟

الأخوانِ: سَنَعُودُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بِنْتُنَا فِيهِ أَمْسٍ.

الوالدانِ: لا، لَيْسَ الْآنَ. سَنَذْهَبُ أَوَّلًا إِلَى السُّوقِ لِنَشْتَرِيَ بَعْضَ الْهَدَايَا.

سامي : لخالتي وابنتيها؟

- نَعَمْ، وَلِغَيْرِهِمَا. فَالْهَدِيَّةُ مَرْغُوبٌ بِهَا، مَهْمَا كَانَ ثَمْنُهَا، فَلَيْسَ مُهِمًّا أَنْ تَكُونَ ثَمِينَةً، وَلَكِنْ الْمُهِمُّ أَنْ يَحْدُثَ التَّهَادِي، وَقَدْ رَغَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»<sup>(١)</sup>. وقال: «تهادوا فإنَّ الهدية تذهب وحرَّ الصِّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا وَلَوْ شَقَّ فَرَسٌ شاةً»<sup>(٢)</sup>.

جميل : وماذا سنشتري؟

الأم : عندما نصلُ إلى هناك سَوْفَ تُشَارِكُونَنَا فِي اخْتِيَارِ الْمُنَاسِبِ.

جميل : هَيَّا إِذَا لِنَشْتَرِيَ الْهَدَايَا.

الأبُ: هل أنت مُتَعَجِّلٌ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ؟! سَنَبْقَى حَتَّى نَصَلِّيَ الظُّهْرَ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، ثُمَّ نَنْطَلِقُ، فَالصَّلَاةُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ لَا تُعَادِلُهَا صَلَاةٌ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا»<sup>(٣)</sup> خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ

(١) رواه الطبراني (١٩).

(٢) الإمام أحمد (٢) (٤٠٥) والترمذي (٥٦).

(٣) مسجد المدينة (المسجد النبوي).

صلاة في غيره من المساجد؛ إلا المسجد الحرام»<sup>(١)</sup>.

- سامي: وما معنى الحرام؟ ولماذا هو مسجد حرام؟

الأم: الحرام هو الذي يحرم فيه القتل وسفك الدماء، وسمي البيت العتيق بالمسجد الحرام، لأن القتال فيه محرّم وقد حرّمه الله سبحانه وتعالى منذ خلقه، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، لَا يَحِلُّ لِمُرِيٍّ يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرًا...»<sup>(٢)</sup>.

تَدَخَّلَ الْأَبُ مُقَاطِعًا لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَّ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ﴿٩٧﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

جلس أفراد العائلة بعد العشاء يتسامرون خارج الخيمة، ويحسبون أكواب الشاي الذي صنعه أحمد بنفسه، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ويشكرون الله ويحمدون فضله على ما أنعم به عليهم من نعمة الصحة والقدرة على المجيء إلى هذه البلاد المقدسة.

- قال أبو أحمد: لنعد الآن إلى متابعة قصة سيدنا إبراهيم. ألا تريدون سماعها؟

الأولاد: بلى، نحن على أحر من الجمر لمعرفة ما حدث لنبي الله عليه الصلاة والسلام.

(١) صحيح بخاري - ٢٠ - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - حديث ١١٩٠ - ص ٣٦٠.

(٢) صحيح البخاري: ٦٤ - ٢٠ - كتاب المغازي - باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة - حديث ٤٢٩٥ - ص ٨١١.

(٣) الآيات: ٩٥ - ٩٦.

الأب لزوجته: هل تتابعين القصة أنت أم أكملها بنفسى؟  
الأم: لا بأس عليك، أكملها إذا أردت.

- أبو أحمد: شكراً لك. ثم استأنف الكلام: إذا انتصر سيدنا إبراهيم عليه السلام على قومه الكافرين، ونجاه الله من النار، بعد أن أمرها الله أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم، (وهنا استدرك الأب) أتعلمون؟ لو أن الله سبحانه وتعالى قال للنار: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ ولم يقل: ﴿وَسَلَامًا﴾، لمات سيدنا إبراهيم من البرد، ولو أنه لم يقل: ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ لما استفاد إنسان بعد ذلك من النار في بيوتهم في ذلك الوقت على الإطلاق.

الأولاد: الحمد لله.

أبو أحمد: علمنا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام هاجر إلى بلاد الشام عسى أن يحظى ببلاد يميل أهلها إلى الإيمان أكثر...

- أبو أحمد: وكيف يميل الناس للإيمان أكثر؟

- أبو أحمد: أن يعلموا أن الخلق والإيجاد من العدم، والرزق والعطاء والعناية والرعاية وتصريف الأمور بما يحقق الغاية العليا التي خلق من أجلها هذا الكون، كلها لرب العالمين، وبالتالي أن يعلموا أن الأمر المطلق الذي لا يُردُّ بحالٍ من الأحوال هو لرب العالمين، رب المشرقين، ورب السماوات السبع ورب كل شيء فهو يستوجب الطاعة المطلقة بلا تردد ولا توقف ولا تشكك، فالرب هو الذي يأمر فيطاع، وينهى فيستجاب لنهييه. ولا يصح أن يُسند هذا الحق إلى غير الله تعالى بحالٍ من الأحوال... وهذا معنى قولنا:

الأولاد: لا إله إلا الله، ما لنا رب سواه.

- وتابع الأب: إذا هاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولم يهاجر معه إلا لوط، قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿فَأَمَّن لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي

مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٦﴾<sup>(١)</sup>، وقد مدح الله ﷻ تلك البلاد بقوله: ﴿وَجَنَّتْهُ وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، هذه الأرض هي بلاد فلسطين، حيث عاش حياة هادئة مع زوجته المحببة سارة، منتقلاً في أرض الشام وفلسطين يدعو إلى الله ﷻ.

ثم قام بزيارة إلى مصر لأسباب لم تُبينها النصوص. وكان فيها حاكم جباراً مغرور، ومن عادة الملوك (ولا سيما الجبارين منهم) أن يبتوا العيون والجواسيس في البلاد، لينقلوا إليهم أخبار الناس وأفعالهم، فذهب هؤلاء الجواسيس وأخبروا الحاكم بوصول سيدنا إبراهيم ﷺ الغريب القادم من بلاد الشام.

أحمد: كم أكره الجواسيس! إنهم أسوأ الناس، وكم كانوا سبب اشتعال الفتن والحروب!!

الأب: عمل الجاسوس قد يكون مطلوباً أو مرفوضاً. فإذا كان يتجسس لمصلحة بلاده ودينه سُمي بطلاً، وإذا كان ينقل الأخبار للأعداء، سُمي خائناً. ولا أحد يحترم خائن وطنه، حتى الذين يعمل لمصلحتهم. أما خائن دينه فهو كافر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

الأم: هذا صحيح، ويروى أنّ أحد الملوك الغزاة، كان يُغري بعض الناس بالمال والمناصب لخيانة بلادهم والتجسس لمصلحته، فلما انتصر في إحدى المعارك جاءه جاسوسٌ نشيطٌ من الذين ساعدوه، ومدّ يده ليصافحه، فرمى الملك له كيساً من المال وقال: إنّ يدي لا تُصافح الخائنين!

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١.

الأب: هذا صحيح. وقد حرم الله سبحانه وتعالى الجاسوسية السيئة بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>(١)</sup>.

سامي: وماذا أخبر جاسوسُ الملك سيده الجبار؟

الأب: لقد قال لمليكه إن رجلاً غريباً قد جاء ومعه امرأة تعتبر من أجمل النساء. وكانت عادة هذا الملك أن يستحصل لنفسه على أجمل النساء، وإن كنّ متزوجات قتل أزواجهن.

سامي: وهل كانت سارة جميلةً إلى هذه الدرجة؟!

الأم: نعم، كانت جميلةً جداً.

جميل: وماذا فعل الملك؟

الأب: أرسل رسوله إلى إبراهيم ليتعرف عليه وعلى من معه، فأخبره النبي أنها أخته، فقال له المصري: إن الملك يريد أن تذهب المرأة وحدها إليه.

ذهب إبراهيم عليه السلام إلى سارة وأخبرها بما جرى، وأمرها أن تقول إنها أخته، وحذرهما من أن يعرف أحدٌ هناك غير هذا لئلا تصاب بأذى. فتعجبت وقالت: وكيف أقول إنني أختك؟ فأجابها بأنها أخته في الدين والإيمان؛ لأنه لا يوجد على وجه الأرض أحد مسلم في ذلك الوقت إلا هو وهي، والله تعالى يقول في القرآن: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

سامي: وماذا فعلت السيدة سارة؟

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

الأب: الزوجة الصالحة لا تخالف زوجها، خصوصاً إذا كانت تعلم أنه صالح وأنه يريد مصلحتها. ذهبت وهي تدعو الله أن يحميها، ويرد عنها كيد الفاجر. وقام إبراهيم عليه السلام يُصلي لله، ويدعوه بأن يحمي زوجته من شر ذلك الملك. واستجاب الله دعاءه! وحى سارة من كيد الملك! وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك في حديثه فقال: (وبينما هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلاً، معه امرأة من أحسن الناس).

فأرسل إليه، فسأله عنها، وقال: من هذه؟ قال: أختي!

فأتى سارة فقال: يا سارة، ليس على وجه الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك. وإن هذا سألني، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني.

فأرسل إليها، فلما دخلت عليه، ذهب يتناولها بيده، فأخذ!

فقال: ادعي الله لي، ولا أضرك. فدعت الله، فأطلق!

ثم تناولها ثانية، فأخذ مثلها، أو أشد. فقال: ادعي الله لي، ولا أضرك، فدعت، فأطلق. فدعا بعض حجبته، فقال: إنك لم تأتني بإنسان، إنما أتيتني بشيطان. فأخدمها هاجر! فأتته وهو قائم يصلي، فأوماً بيده: مهيا؟ قالت: رد الله كيد الفاجر في نحره، وأخدم هاجر. قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء...<sup>(١)</sup>.

وأكمل الأب كلامه: رجعت السيدة سارة إلى زوجها معززةً مكرمةً، فوجدته يصلي لله تعالى، ويدعوه أن يصفون له زوجته ويحميها.

أحمد: هل كان يُحبها إلى هذه الدرجة؟

الأب: طبعاً، فهي زوجته؛ ولكن السبب الأكبر لحبه لها ولزواجه منها كان (دينها)، وهذا مما علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كيفية اختيار

(١) البخاري (٢٢١٧) (٢٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

الزوجة المثلى فقال: «تُنكح المرأة لأربع: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»<sup>(١)</sup>.

وتابع الأب كلامه: لَمَا رَأَى سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَهُ تَقَفَ أَمَامَهُ سَالِمَةً غَانِمَةً، فَرِحَ كَثِيرًا، وَحَمِدَ اللَّهَ وَشَكَرَ فَضْلَهُ، وَكَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى الْبِلَادِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ وَجَارِيَّتُهَا الْمِصْرِيَّةُ (هاجر).

لم يفتر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الدعوة إلى الدين الحنيف الذي أرسله الله به، بكل ما أوتي من عزم وقوة. وكان قوله الدائم: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أحمد: وما معنى: ﴿حَنِيفًا﴾؟

الأم: الحنيف هو المؤمن بالله، الموحد له، الذي اختار طريق الإيمان والإسلام والخضوع لله، ومال إليها، وترك طريق الشرك والكفر، ولم يخترها... واعتبر القرآن أحسن الناس ديناً، من أسلم وجهه لله، واتبع ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان حنيفاً مثله.

الأب: معك حق، وهذا ما أثبتته سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في حوارهِ مع المشركين وعبدة الكواكب ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٤)</sup>. والإسلام هو دين جميع الأنبياء من لدن آدم إلى محمد عليهم جميعاً أفضل الصلوات والتسليم.

أحمد: جميع الأنبياء دعوا إلى (الإسلام)، ولماذا إذن نقول: هذا مُسلم، وذاك نصراني، وذاك يهودي؟

الأب: هذه تسميات خاطئة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ

(١) البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ١٦٢ - ١٦٣.

يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْأَخْرَجَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١٥﴾ (١).  
واليهودُ والنصارى خالفوا أنبياءهم، وحرّفوا دينهم وكُتِبَهم، وابتعدوا عن  
دينِ الحقِّ (الإسلام) طغياناً وظلماً لأنفسهم، ونَسَبُوا أنفسهم لأنبيائهم.  
أما المسلمون فنسبَتهم إلى الدينِ الحقِّ، وهو الإسلامُ لله بمعنى التسليم  
لله ربِّ العالمين. فالدينُ هو نظامُ الحياةِ الكاملُ، الشاملُ لنواحيها  
الاعتقاديّة والفكريّة والخُلقيّة والعلميّة والسّياسيّة والاجتماعيّة... هو  
النُّظامُ الصّحيحُ المرضيُّ عنه عند الله تعالى، المبنيُّ على طاعةِ الله  
وعبادتِه. فإنّ الدينَ عند الله الإسلامُ، والأنبياءُ كلُّهم جاءوا بالإسلام  
الذي جاء به سيّدنا محمدٌ ﷺ، ولقد حرصَ القرآنُ الكريمُ على تقريرِ  
وتأكيدِ هذه الحقيقةِ عند حديثه عن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ  
ويوسفَ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ، وذلك لإبطالِ مُزاعمِ اليهودِ والنصارى  
الذين يزعمون أنّهم على دينِ هؤلاء الأنبياء، ومع ذلك أصروا علي  
يهوديّتهم ونصرانيّتهم، وكذبوا مُحمّداً ﷺ، برفُضِ الاستسلام لهذا  
النُّظام، والخُضوع والتذلُّ لله ﷻ، قال الله تعالى في معرضِ حديثه  
عن سيّدنا إبراهيمَ ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ  
﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا  
تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ  
قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (٢).

صمت الأب قليلاً ثم قال: وجاء في إخبارِ الله العظيم إيانا عن  
سيّدنا إبراهيمَ ﷺ: ﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَهُهُ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَتْهُمُ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ  
لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ (٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٣١ - ١٣٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

أحمد: ... للناس إماماً؟ هذا يعني أن الله أرسله لجميع الناس،  
وليس لِقَوْمٍ مَعَيَّنِينَ كما أرسل هوداً وصالحاً عليهما السلام؟

الأب: ملاحظة ذكيّة، بارَكَ اللهُ فيكَ. ولكن، سيّدنا إبراهيم عليه السلام  
أُرْسِلَ إلى قَوْمٍ مَخْصُوصِينَ وليس لِكُلِّ النَّاسِ، لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله:  
«وكان النبي يُرْسَلُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً»<sup>(١)</sup>.

أمّا بالنسبة لقوله: (إماماً) (فالإمام هو الذي يأتّم به الناس، وَيَقْتَدُونَ  
به في الخَيْرِ، وَيَهْتَدُونَ بهديه. وَاللَّهُ جَعَلَ إبراهيم عليه السلام إماماً هَدَى للناسِ  
على اختلافِ الزّمانِ والمكانِ، فهو إمامٌ لِمُؤْمِنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وإمامٌ  
لِمُؤْمِنِي النَّصَارَى، وهو إمامٌ لِلْمُسْلِمِينَ أتباعِ محمدٍ صلى الله عليه وآله، وهو إمامٌ دَعْوَةٍ،  
ومنارٌ هَدَى، ومُعَلِّمٌ عَقِيدَةٍ»<sup>(٢)</sup>.

تابع الأب: مَكَتَ سَيِّدُنَا إبراهيمُ في تلك البلادِ، ولم يكن له ولدٌ  
بعُد، فدعا ربّه أن يَهَبَهُ ذُرِّيَّةً ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فَبَشَّرْتَهُ بِعُلْمِ  
حَلِيمٍ (١٠١) <sup>(٣)</sup>. فسمِعَتْهُ زوجته سارة، وكانت وقتذاك عجوزاً لا تَلِدُ، فعلمتْ  
بشوقه للولدِ، فطلبتْ منه أن يَتَزَوَّجَ خادمتها (هاجر) لعلَّ اللهُ يرزُقُهُ الولدَ  
منها، وأصرّت على ذلك فرضي، وسرعان ما رزقَهُ اللهُ وعجّل غلاماً سَمَّاهُ  
(إسماعيل).

إذاً، رَزَقَ اللهُ سَيِّدَنَا إبراهيمَ الولدَ ففرِحَ به كثيراً وشكّرَ ربّه على نِعَمِهِ  
عليه. ثم أمرهُ اللهُ سبحانه وتعالى أن يأخذ ولده (هاجر) إلى الحجازِ،  
وأن يتركهُما هناك ويعودَ إلى بلده.

أحمد: وهل يَسْتَطِيعُ إبراهيمُ عليه السلام أن يُفَارِقَ ابنه الوحيد الذي طالما  
انتظره؟

(١) البخاري (٣٣٥).

(٢) الخالدي، صلاح، مواقف الأنبياء، ص ١٤٣.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٠٠ - ١٠١.

الأب: وهل تظنُّ أنه يستطيع مخالفة أمرِ ربِّه؟ أنسيتَ أنه رَفَضَ مُساعدةَ أحدٍ غيرِ الله عندما قَدَفَهُ قومُه في النارِ فتحوَّلتِ النارُ بإذنِ ربِّها بَرْدًا وسلامًا عليه ولم يضرَّ إبراهيمَ حرُّها؟

لقد كان سيِّدنا إبراهيمُ متوكِّلاً على الله، مُسلماً لِقضائِهِ في أمرِهِ كُلِّها، وكان دوماً يقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) (١).

فَتَحَّ جميلٌ فَمَهْ ليسألَ، فَفَهِمَتْ أُمُّه ما يريدُ، فاستَدْرَكَتْ قائلةً: التوكُّلُ على اللَّهِ شيءٌ جميلٌ، وهو واجبٌ على كلِّ مُؤمِنٍ، ولكن لَيْسَ معنى هذا أن نتكاسلَ عن العملِ، وعن المُدافعةِ عن النَّفسِ والأهلِ بِحُجَّةِ التوكُّلِ، فالكسَلُ مع رجاءِ النَّجاحِ يُسمَّى تَوَاكُلًا لا تَوَكُّلاً، ولهذا قال سيِّدنا محمدٌ ﷺ: «اعقلها وتوكل» (٢).

أي إن الواجبَ على الإنسانِ أن يَعْمَلَ وَيَتَعَبَ في سبيلِ الوُصولِ إلى هَدَفِهِ، ثم يتركِ النَّتائجَ لِلَّهِ ﷻ. فالتوكُّلُ هو تفويضُ الأمرِ إلى اللَّهِ ﷻ بعدَ الأخذِ بالأسبابِ، والثقةِ بِحُسْنِ النَّظَرِ فيما أمرَ بِهِ. ويكونُ التوكُّلُ بطرحِ أثرِ الأسبابِ والاكْتِسَابِ... وقد قال الله تعالى في كتابِهِ الكَرِيمِ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) (٣).

الأب: أَخَذَ إبراهيمُ ﷺ زَوْجَتَهُ (هاجرَ) وابْنَهَا (إسماعيلَ) إلى مكانِ البَيْتِ العَتِيقِ (الكعبةِ)، حيثُ أمرَهُ اللهُ، وَقَفَلَ راجعاً. فقالت له هاجرُ: أَيْنَ تترُكُنَا وتَذْهَبُ؟ فلم يردِّ عليها، فكَرَّرَتِ السُّؤالَ لِكِنَّ إبراهيمَ لَمْ يُجِبْ، فقالت: أَللهُ أَمَرَكَ بِذلك؟ فقال: نَعَم، قالت: إِذا لَنْ يُضِيعَنَا اللهُ (٤).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٢) البخاري (٦٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) البخاري (٣٣٦٤).

أحمد: السيِّدة هاجرُ أيضاً كانت مؤمنةً ومتوكِّلةً على الله، لقد استسلمت لقضاء الله ولم تعرِّضْ، وكان لسان حالها يقول: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ (٥٧) ﴿١﴾.

ثم قال: ولكن ماذا حدث للأُم وابنها؟

الأب: ستحدِّث عن هذا فيما بعدُ في قصة سيِّدنا إسماعيلَ عليه السلام - إن شاء الله تعالى -، أما الآن فسنبقى مع الأب سيِّدنا إبراهيمَ عليه السلام بعد أن تركت الزوجة زوجها يرحل (امثالاً لأمر الله وتوكلاً عليه واطمئناناً إلى أنه لن يضيعهما)، ابتعد إبراهيم عنهما من دون أن يلتفت إليهما، ومن دون أن يتزوَّد بنظرة وداع من ابنه (حتى لا تغلبه عواطفه)، ثم توقف ونظر تجاه البيت العتيق وتوجه بدعائه إلى الله ليحميها، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٢٧) ﴿٢﴾.

رجع إبراهيم عليه السلام إلى سارة التي كانت تنتظره، وتابع نشر دعوته في فلسطين.

كان نبيُّ الله مضيافاً، وكان يُنفقُ إنفاقَ مَنْ لا يخشى الفقرَ، وكيف يخشى إنسانٌ مثل إبراهيمَ عليه السلام الفقرَ، وهو يعلمُ علمَ اليقين أن الله هو الرزاقُ الكريمُ؟! هذا ما قاله لقومه قبل أن يُجمِعوا على إحراقه... ﴿هَلْ أُنذِرَكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) ﴿٣﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (٢٥) ﴿٤﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَهُ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ (٢٦) ﴿٥﴾.

سامي: ألهدية الدرّجة كان يُحبُّ الضيوفَ؟

- 
- (١) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.  
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.  
(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٧٧ - ٨٢.

الأب: نعم، وقد اتخذَهُ اللهُ خليلاً فقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (١).

جميل: خليلاً؟ ماذا يعني هذا؟

الأب: الخليلُ من الخَلَّةِ، والخَلَّةُ نهايةُ المَحَبَّةِ، وقد أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً. وَنَفَى ﷺ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَلِيلٌ غَيْرَ رَبِّهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) (٢)، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ المَحَبَّةِ وَنَهَايَتَهَا، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى فِي قَلْبِ المُحِبِّ سَعَةً لغيرِ مَحْبُوبِهِ. فَسَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ صَرَفَ حَبَّهُ كُلَّهُ اللهُ رَبِّ العَالَمِينَ، لِذَلِكَ سَمَّاهُ اللهُ خَلِيلَهُ.

تابع الأب سرَّ القصة فقال:

بعد مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ - سنواتٍ كَثِيرَةٍ - رَأَى سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ يَذْبَحُ وَلَدَهُ، فَفَهِمَ المَقْصُودَ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ اللهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَمْرِهِ بِذَبْحِ ابْنِهِ الوَحِيدِ الَّذِي طَالَمَا انْتَظَرَهُ، وَجَعَلَهُ يَعِيشُ بَعِيداً عَنْهُ.

سامي: ولكن، هذا مجرد حُلْم!!

الأب: لا يا بني، لا تقل هذا، فرؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (٣).

وليس أمامَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ إِلَّا أَنْ يُنْفِذَ الأَمْرَ الإِلَهِيَّ، وَلَكِنَّ السُّؤَالَ المَطْرُوحَ هُنَا: هَلْ يَقْتَنِعُ ابْنُهُ بِهَذَا الأَمْرِ فَيُعِينُهُ عَلَيْهِ، أَمْ يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ وَيَتَشَاوَرُ مَعَهُ، وَيَتَّهَمُهُ بِأَنَّهُ لَا يَحِبُّهُ ثُمَّ يَهْرُبُ مِنْهُ؟

أحمد: هذا بالفعل ما يُمكنُ أَنْ يَحْدُثَ!

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٢) مسلم (٥٣٢).

(٣) البخاري (٦٩٨٧، ٦٩٨٨، ٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣)، بلفظ: «الرؤيا جزء من...».

الأب: وهل نسيّت أنّ اللهَ لما بَشَره به سماهُ غلاماً حليماً، وكَلِمَةً (حَلِيم) معناها (الصَّابِر)؟

سامي: ماذا فَعَلَ إِذَا؟

الأب: لم يَتَكَاسَلْ ولم يَتَوَانَ، لأنّه يَعْلَمُ أنّ هذا امتحانٌ مِنَ اللَّهِ لإيمانه، وَيَجِبُ عليه النجاحُ بامتيازٍ.

لقد ذَهَبَ إلى ابْنِهِ الذي صارَ شاباً قادراً على العَمَلِ والسَّعيِ وقال له: ... ﴿قَالَ يَبْنَىٰ إِيَّيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ آتِيَّ أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِرِينَ ﴿١١٢﴾ (١).

جميل: وهل كان ضرورياً أن يُخبر ابنه؟

الأب: طبعاً، حتى تَطْيِبَ نَفْسُهُ، وَيُثِبَتِ طَاعَتُهُ لله ثم لأبيه، ولكي يشارِكهُ ابنُهُ مُتَعَةً الاستِجَابَةِ لأمرِ الله.

جميل: وهل ذَبَحَهُ حَقًّا؟ هل استطاع الأب أن يذبح ابنه؟

الأب: ليس المُهِمُّ عمليّة الذَّبْحِ، إنّما المُهِمُّ أن يُبَدِيَ استعدادَهُ لِتَنْفِيذِ أوامرِ اللَّهِ، وَيُبْرِهِنَ عن إيمانه به، والله سبحانه وتعالى يُنْفِذُ مشيئَتَهُ كما يريدُ.

سامي: ما معنى هذا الكلام؟

الأب: معناه أنّ سَيِّدَنَا إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَثْبَتَ إيمانهُ وخضوعَهُ لمشيئَةِ رَبِّهِ، وَبَيَّنَّ أنّ محبته لله تعالى أكثرُ من حبه لنفسه وماله وولده، ولهذا، لم يَسْمَحِ اللَّهُ ﷻ لِلسَّكِينِ أن تَذْبَحَ إسماعيلَ.

سامي: كيف؟

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

الأب: لقد أمرها الله بِعَدَمِ الذَّبْحِ، كما أمر النَّارَ بِعَدَمِ الإِحْرَاقِ.  
ولهذا قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾  
إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَلْتَأُ الْمَبِينُ ﴿١٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾  
سَلَّمَ عَلَيْنَا مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾<sup>(١)</sup>.

سامي: أجل. لقد أخبرنا المعلم أن هذا هو السبب الذي من أجله  
يذبح الناس الأضاحي في عيد الأضحى.

الأب: أجل هذا صحيح. ولكي يقتدي الناس بإبراهيم وبمحمد  
عليهما الصلاة والسلام.

سامي: ومتى حدث ذلك؟

الأم: لقد روى البخاري<sup>(٢)</sup> عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حديثاً مطوّلاً  
يبيّن لنا ما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدتنا هاجر، وكيف وضعتها  
في مكة المكرمة، وتركها في وادٍ ليس فيه إنس ولا شيء. ومتى عاد إلى  
مكة المكرمة ومتى أمره الله تعالى ببناء الكعبة، وهو حديث طويل يتحدّث  
عن مشاهد ولقطاتٍ من قصّة إبراهيم وهاجر وإسماعيل. لذا أدعوكم  
لقراءته قراءةً متأنيةً حين عودتنا إلى ديارنا. للاستفادة منه وأخذ العبر  
والعظات منه.

وهناك لفتة مهمة أريد أن أنبّهكم إليها في قضية الرؤيا التي رآها  
سيدنا إبراهيم عليه السلام في أنه يذبح ولده، وقصة بناء الكعبة، فلعلّ الأمرين  
كانا في الزيارة نفسها التي قابل فيها إبراهيم ابنه إسماعيل عليه السلام بعد غياب  
سنواتٍ عديدة، فبنيا الكعبة، وأذن إبراهيم عليه السلام بالحجّ، وكانت مناسكُ  
الحجّ، ورأى إبراهيم عليه السلام رؤيا يذبح إسماعيل عليه السلام، وكان الفداء،

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠٤ - ١١٠.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٣٣٦٣. [ذكر الحديث في التذييل] لأنه حديث مطول.

وكانت الأضحية، وكان عيد الأضحى، وكانت مناسك الحج والله أعلم<sup>(١)</sup>.

أحمد: سيدنا إبراهيم هو الذي بنى البيت الحرام؟

الأب: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبني الكعبة المشرفة، بيت الله الحرام، فطلب سيدنا إبراهيم عليه السلام من ابنه إسماعيل عليه السلام ما أمره الله به، فقال له: وتعينني؟ قال إسماعيل عليه السلام: وأعينك! فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت. فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى ارتفع البناء ولم يعد بإمكانه الوصول إلى أعلى، فجاء إسماعيل بحجر فوضعه له، فقام سيدنا إبراهيم عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

انطبعت قدم إبراهيم عليه السلام على الحجر، وما زالت حتى الآن موجودة، وكل من يذهب إلى الحج يراها عند مقام إبراهيم. كل ذلك العمل كان مقروناً مع دعائهما وابتهالهما ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، ج ١، دمشق، دار القلم، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٢، ص ٣٩٥ بتصرف.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

أحمد: هذا دليلٌ جديدٌ على أن جميع الأنبياء مسلمون.

الأب: نعم، إن جميع ما في هذا الكون مسلمٌ مستسلمٌ لهذا النظام ولهذا القانون الذي ارتضاه الله ﷻ لنا. فالله ﷻ خلق ما في السماوات والأرض، وهي مستسلمةٌ لأمر الله قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) (١)، فالإسلام يا أبنائي هو الانقياد لله والخضوع والإخلاص له ﷻ. لهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (٣).

تابع الأب سرد القصة فقال: بعد أن انتهى العمل في البيت طلب الله من نبيه إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في آيات معلومت على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴿٢٨﴾ (٤).

أطاع سيدنا إبراهيم ﷺ أمر ربه كعادته فوقف على الحجر وألقى خطبته التي أوصلها الله إلى جميع الناس: الأحياء والذين ما يزالون في عالم الغيب. فمن حديث ابن عباس ﷺ قال: «قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس، كتبت عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن، ومن سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك» (٥).

قال الأب وكأنه تذكر شيئاً: أتعلمون؟ لقد أثبت البحث العلمي أن

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٤) سورة الحج، الآيتان: ٢٧ - ٢٨.

(٥) أخرجه الحاكم (٥٥٥/٢)، والبيهقي في الأوائل.

الكعبة تَقَعُ فِي مَرَكِزِ الْأَرْضِ، أَيِ إِنَّهَا فِي نُقْطَةِ مُتَوَسِّطَةِ مَنَافِئِهَا، مِمَّا يُثَبِّتُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا أَوَّلًا وَقَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ ثُمَّ خَلَقَ سَائِرَ الْأَرْضِ مِنْ حَوْلِهَا<sup>(١)</sup>.

سامي: يَا اللَّهُ، كَمْ تَعَبَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ! لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ إِنْسَانًا آخَرَ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ!!

الأب: لِهَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَى الْعِزْمِ الْخَمْسَةِ، الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ السَّابِعَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ هُوَ أَشْرَفُ أَوْلَى الْعِزْمِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَلَمَّا كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلَ الرُّسُلِ مِنْ أَوْلَى الْعِزْمِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، أَمَرَ الْمُصَلِّيَّ أَنْ يَقُولَ فِي تَشَهُدِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ<sup>(٣)</sup>.

سامي: مَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

الأب: أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَّ عَبْدَهُ إِبْرَاهِيمَ فَبَشَّرَهُ بِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ لِأَنَّهُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وَبَشَّرَنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

أحمد: وَكَيْفَ بَشَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى؟ هَلْ كَلَّمَهُ؟

(١) المرصفي، سعد، الكعبة مركز العالم، ص ٢٠٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٣) البخاري (٣٣٧٠) (٦٣٥٧) (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٤) سورة الصافات، الآيات: ١١١ - ١١٣.

الأب: لا، الله تعالى لم يُكَلِّم أحداً مِنَ البَشَرِ مباشرةً إلا سيّدنا موسى ﷺ كما ستعرفون عندما نقصّ سيرة هذا النبي الكريم.

أحمد: وكيف بشره إذاً؟

الأب: لقد أُرْسِلَ إليه بعض الملائكة الذين جاؤوا على هيئة ضيوف، تلك الهيئة التي كان يحبها. وقد وردَ هذا الكلام في سورٍ متعدّدة من كتاب الله، تروي قصة الزيارة والبشارة ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ (١)(٢).

وَصَعَ سيّدنا إبراهيم ﷺ العجل المشويّ أمام ضيوفه، ليأكلوا، ولكنهم لم يمدّوا إليه يداً، فاستغرب وخاف، فهؤلاء الضيوف غرباء، وهو لم يره من قبل، ويبدو عليهم أنهم جاؤوا من مكان بعيد، ولا بدّ أن يكونوا جائعين، فلم لا يأكلون؟ وصرّح لهم بخوفه منهم ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ (٧) ﴿...﴾ (٣) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئْنَا بِبَشَرٍ لَنَا نَجْوَى إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ (٥٣) ﴿قَالَ أَمْبَشِّرُوكُنِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا نُبَشِّرُونَ﴾ (٥٤) ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ (٥٥) ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾ (٥٦) ﴿إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦) ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٥٧) ﴿...﴾ (٤).

أحمد: هل هذا يعني أن اليأس حرام؟

الأب: طبعاً، لأنّ المؤمن يعلم أنّ الله يُقَدِّرُ كُلَّ شيءٍ، ويبيده كلّ شيءٍ، ولا يأس مع الحياة، أي ما دُمنا نعلم أنّ الله حيّ قادرٌ فكيف نياس؟

(١) حنيد: مشوي بالحجارة المحماة.

(٢) سورة هود، الآية: ٦٩.

(٣) سورة هود، الآية: ٧٠.

(٤) سورة الحجر، الآيات: ٥٢ - ٥٧.

ثم تابع قائلاً: وكانت السيِّدة سارة واقفة تسمع ما يقولون فتعجبت من قولهم. هي أيضاً امرأة مؤمنة تعرف أن الله على كل شيء قدير، ولكنها كذلك تعرف أنها امرأة عجوز، ومثلها لا تلد ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١) قالت يُولِئِئِءِ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴿٧٣﴾ (١).

أحمد: ولكن يا أبي، هل تتكلم الملائكة وتظهر على غير الأنبياء؟

الأب: ظهرت الملائكة على: سارة، ومريم عليهما السلام بصورة بشر، وبذلك يستطيع الجميع رؤيتهم.

فرح سيدنا إبراهيم عليه السلام بهذه البشارة، وكذلك زوجته، لا سيما وأن البشارة تعدهما باستمرار الحياة حتى يريا ابن إسحاق الذي سيكون اسمه يعقوب. ولكن سنقف عند هذا الحد من قصّة البشارة لتتابعها في قصّة إسحق ويعقوب.

سكت الأب قليلاً ريثما يرتشف كوب الشاي الذي حصرته أم أحمد لكل منهم لعله يعطيهم بعض النشاط.

عاش إبراهيم عليه السلام حيث زوجته سارة وابنه إسحاق، يتابع رسالته، وينعم بولده، حتى كبر وتزوج وأنجب (يعقوب)، فتحققت البشارة.

ثم إن سيدنا إبراهيم سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، وكان ذلك بعد أن وفى جميع ما أمر به، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قَالَ فَخَذْنَا مِنْهُ مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ

(١) سورة هود، الآيات: ٧١ - ٧٣.

أَدْعُهُنَّ يَا تَيْبِكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

(إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَعْلَمُ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى عِلْمًا يَقِينًا لَا يَحْتَمِلُ النَّقِيضَ. وَلَكِنْ أَحَبَّ أَنْ يُشَاهِدَ ذَلِكَ عَيَانًا وَيَتَرَقَّى مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ إِلَى سُؤَالِهِ وَأَعْطَاهُ غَايَةَ مَأْمُولِهِ <sup>(٢)</sup>.

الأولاد: سبحان الله العظيم!

الأب: هذه لَيْسَتْ قِصَّةً خِيَالِيَّةً، وَإِنَّمَا هِيَ مُعْجِزَةٌ حَدَّثَتْ لِأَبِي الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أحمد: أبو الأنبياء؟

الأب: نَعَمْ، فَمُعْظَمُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ نَسْلِهِ.

انتهى الأبُ مِنْ سَرْدِ الْقِصَّةِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْأَسْئَلَةِ حَوْلَهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ قَامُوا لِلنُّومِ عَلَى أَمَلٍ أَنْ يَعْرِفُوا الْإِجَابَاتِ عَنْهَا غَدًا.



(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٢) ابن كثير، التفسير، ص ١٧٨.

## المصادر والمراجع الخاصة بالقصص النبوية

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٣. الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (البخاري)، صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ١٧٥١ صفحة.
٤. الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (البخاري)، الأدب المفرد، عالم الكتب، ١٤٠٤هـ.
٥. الإمام (مسلم) بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١٤٦٢ صفحة.
٦. الإمام أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (النسائي)، سنن النسائي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ١٤٥٣ صفحة.
٧. الإمام أبو عبدالله (أحمد) بن حنبل الأهلي الشيباني، المسند، بيت الأفكار الدولية، الأردن، لات، ٢٠٩٤ صفحة.
٨. الإمام (أبو داود) سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، دار المعرفة، بيروت، لات، مجلّدان.
٩. الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (الترمذي)، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠١م، ١٠٨٠ صفحة.
١٠. الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه)، السنن، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ١٠٨٠ صفحة.
١١. الإمام الطبراني، الأوائل.
١٢. الإمام الطبراني، المعجم الكبير.

١٣. الإمام محمد بن عبدالله (الحاكم) النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین.
١٤. الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين (البيهقي)، الأوائل.
١٥. الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (النووي)، الأذکار.
١٦. الإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي (ابن كثير)، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، الأردن، لات، ٢٣٢١ صفحة.
١٧. الإمام عبدالله محمد بن أبي بكر (ابن القيم)، تحفة المودود بأحكام المولود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٨. إبراهيم العلي، الأحاديث الصحيحة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ٢٧٦ صفحة.
١٩. أحمد بهجت، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ط٢٦، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٥١١ صفحة.
٢٠. خالد عبدالرحمن العك، بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢١. أحمد البراء الأميري، فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٥٧٥ صفحة.
٢٢. سعد المرصفي، الكعبة مركز العالم.
٢٣. صلاح عبدالفتاح الخالدي، القصص القرآني، دار القلم، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، خمسة أجزاء.
٢٤. صلاح عبدالفتاح الخالدي، القيسات السنوية في شرح العقيدة الطحاوية، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٤٠٠ صفحة.
٢٥. عبدالقادر محمد المكي الكتاني، صفوة الأحاديث النبوية الشريفة، دار الفارابي، دمشق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ٦٦٣ صفحة.
٢٦. علي أحمد عبدالعال الطهطاوي، الأنبياء وملك الموت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ٣٢٨ صفحة.
٢٧. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٤٣، مؤسسة الرسالة.
٢٨. السلطان قابوس بن سعيد، موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، معجم أسماء العرب.
٢٩. محمد ناصر الألباني، الجامع الصغير وزيادته، بيروت، ١٤٠٢هـ، ٣ مجلدات.
٣٠. عبدالوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار الخير، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٥٢٠ صفحة.

٣١. عمرو خالد، قصص الأنبياء، دار المعرفة، بيروت، لات، ٤٧٧ صفحة.
٣٢. محمد كنعان، فتح القدير في تفسير ابن كثير، دار لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ستة أجزاء.
٣٣. محمد حسن شُرَّاب، بيت المقدس والمسجد الأقصى، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٣٤. محمد عبدالقادر شاهين، قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤٣٨ صفحة، لات.
٣٥. محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ٤٣٢ صفحة.
٣٦. محمد عدنان غنَّام، أحسن القصص، دار البيان، الكويت، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٢٧١ صفحة.
٣٧. محمد متولي الشعراوي، قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لات، خمسة أجزاء.
٣٨. صلاح عبدالفتاح الخالدي، مواقف الأنبياء في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٤٣٠ صفحة.





الصفحة	الموضوع
٥	تقديم: د. يوسف المرعشلي
٧	تقديم: د. صلاح عبدالفتاح الخالدي
١١	تقديم: د/ خالد الصمدي
١٥	تعريف بالكتاب
٢٤	أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت
٢٧	المقدمة
٣١	عزيزي القارئ
٣٢	تمهيد قرائي الأفاضل
٣٣	نبي الله نوح ﷺ
٥٦	نبي الله هود ﷺ
٧٩	نبي الله صالح ﷺ
١٠٠	نبي الله إبراهيم ﷺ
١٢٦	نبي الله إبراهيم ﷺ (٢)
١٤٨	المصادر والمراجع الخاصة بالقصص النبوية
١٥١	الفهرس

